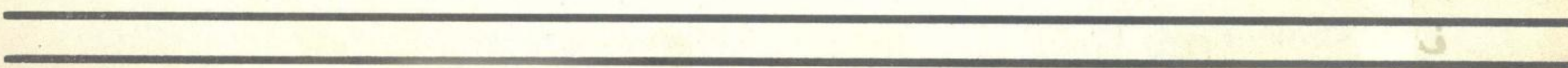


المشقافة

مجلة فكرية تصدر في دمشق





التواصل الثقافي

وانه لمن دواعي الغبطة والسرور ان نجد المجلات العربية وعلى اختلاف مصادرها واتجاهاتها ، لم تعد مقتصرة على أدباء القطر الذي تظهر فيه ، فقد عادت اليوم ناشطة تجمع الاقلام العربية على اختلاف مواطنها واتجاهاتها ونزعاتها . ذلك ما يملأ النفوس املا بصدق الاتجاه الصحيح نحو وحدة تضم هذه الاقطار كلها .

وان نظرة سريعة الى هذه المجلات لترينا كيف ان القائمين عليها يعملون جاهدين مخلصين لتثبيت اواصر اللقاءات العربية بين سائر الكتاب . وان دل ذلك على شيء فانما يدل على مدى ما يجمع بين افراد هذه الامة من ترابط وتواعد بلقاء اكثر شمولاً وحياة اكثر تقارباً . تلك هي رسالات المجلات الادبية اليوم ، وهذه اهدافها وذلك ما تصبو اليه مجلتنا وتتمناه . فالشكر والعرفان بالجميل لقادة الفكر هؤلاء ممن وحدوا هدفهم وعملوا على مثل هذه اللقاءات على صفحات مجلاتهم ودورياتهم .

والله من وراء القصد

رئيس التحرير

اللقاء

فكرية جامعة تصدر في دمشق

صاحبها ورئيس تحريرها

ميدحت عكاكش

الادارة والتحرير :

دمشق - شارع البعثيين

هاتف ٢٢٩٩٨٤

ص.ب ٢٥٧٠

REVUE "AL - SAKAFA,

PROPRIETAIRE DIRECTEUR EN CHEF

MIDHAT AKKACHE

DAMAS (R. A. S.)

B. P. 2570 - Tel. 229984

تموز

١٩٨١

دراسة نموذج أدبي

دراسة جمالية

مازن الوعر

مداخل :

لقد حاولنا دراسة النص الشعري الذي سوف نشبهه بعد قليل دراسة جمالية لكي نتعرف على فلسفة الاثر الفني وفلسفة صاحب الاثر .. وقد كنا بعيدين عن الطريقة الادبية القديمة التي تجسد انسراح القارئ المتذوق وتجعله يخضع لقوانين ابعاد عن المحسوسات والمعقولات .

هذه الدراسة الجمالية تذيب الفن بالادب لتخرج بدراسات جمالية لصاحب الاثر الفني (الشاعر) وبدراسات جمالية للاثر الفني نفسه .

انها طريقة تحقق المقولة النقدية التي تذهب الى ان النقد عملية ابداعية تكشف اشياء جديدة في العمل الفني ، فاذا كان الشاعر والناثر يمران بمرحلتين من الابداع الفني فان الناقد يمر بثلاث مراحل ، الشاعر والناثر يتطلعان الى الطبيعة ليترجما شيئاً ثرا كان ام شعرا والناقد يتطلع الى الطبيعة وينظر الى الشاعر والناثر في الوقت نفسه ومن ثم كان على الناقد ان يبدع شيئاً جديداً ويكتشف اشياء جديدة غابت عن ذهن الفنان سواء بنظرته للطبيعة او بعمله الابداعي ومن هذا يكون النقد قد حقق مهمته الاساسية .

النص الذي سوف ندرسه للشاعر العباسي بشار ابن برد .. وقد قاله في احدى مغامراته الغزلية . ويتألف من تسع وخمسين بيتا سوف نشبهه بعد قليل .

مضمون هذا النص يبدأ من الكوامن التي دفعت بشار بن برد الى زيارة صاحبتة وما اجتاز في طريقه من الصعاب والطرق الوعرة وينتهي بتحقيق الهدف الذي ركب من أجله بشار . يسير الرجل بادىء ذي بدء الى تعجب جارتة منه وكيف لاحظت ذلك الاندفاع العاطفي القوي الذي يحاول ان يندفع به الى صاحبتة سعدى .. ولكن سرعان ما يعلل هذا الاندفاع العاطفي نحو حبيبته سعدى فيصف هيامه بها ويصف الدغدغة العاطفية التي كانت تنبهه الى زيارة الحبيبة . ولكن الحبيبة تشكو البعد والفراق وتسأله عن هذا الصبر القوي الذي يحجبه عن رؤيتها ، اما بشار فلا يريد أن ينزلق في مهاوي الاعداء فيشرح لها ان الذي منعه من زيارتها هؤلاء المتربصون الذين لا هم لهم سوى مراقبة الناس .

وهنا يبدأ بشار وصفه لما جرى معه وكيف أرسلت صاحبتة وصيقتها حين ادلهم الليل .. وكان ما كان من حبك للمعيلة الفنية .. فيلتقيان ويشكو كل آلامه واحزانه وكيف انات قلبه .. وتبدأ المعاناة بينهما فيشرح لها بشار كيف اجتاز الطرق

الوعرة توصلنا اليها وما ان انتهيا من المعاتبة والحديث حتى يبدأ اللهو في ليلة صافية الا ان الصبح سرعان ما ينبج لان الدهر اذا غفل بعض الشيء فلا يستمر في هذه الغفلة . . لا بد آخذ بثأره منهما فاذا هي تخاف وتتوجس وعينها تسكب الدمع الذي هو كاللؤلؤ المنثور من سللكه فقام من عندها ولم يقض حاجته سوى انه حدثها ولمس يديها .

هذا هو محتوى الرحلة الغزلية التي قام بها بشار . . والحقيقة انه ابدع في وصف خلوات الحب ومشاكاة المتحابين وتوسط الرسل ومراقبة الرقباء وعذل العذال بما لم يسبقه الى تفصيل التوصيف فيه احد من الشعراء فنحن نجد خمسين بيتا في صفة زيارته لمحبوته سعدى . . اما الذي يلفت انتباهنا فعلا ان العمل الفني كان كله يندرج تحت موضوع واحد هو الغزل وقد اقتصر القصيدة كلها عليه . عهدنا بالقصيدة العربية تبدا بذكر الديار والدمن والآثار ثم يصل الشاعر ذلك بالنسيب لانه قريب من النفوس لا تظ بالقلوب ثم يوصف الراحلة وبعد ذلك يأتي الى موضوعه الاصلي سواء اكان هجاء أم فخرا أم مديحا وما اشبه ذلك من الاغراض (١) .

هل يعني ان بشارا حقق اكبر ظاهرة فنية في تطور القصيدة العربية ؟ هل نستطيع ان نقول ان بشارا صب تجاربه كلها في هذا الموضوع بدلا من ان يوزعها - شأن الشعراء الجاهليين والاسلاميين - في مقدمات غزلهم وموضوعهم الرئيسي (٢) .

لقد حقق القصيد العربي تطورا منذ ربح من الزمن بعيد عن عصر بشار . . وما القول المأجور والغزل العذري في العصر الاسلامي سوى صورة من صور التطور الذي حققه الشعر العربي في ذلك العصر، فكل قصائد الغزليين الغزريين والهمريين على الاغلب لا تستهدف سوى غرض واحد هو الغزل . .

قال بشار بن برد في احدي مغامراته الغزلية (٣)

تعجبت جارتني مني وقد رقدت
عني العيون وبات الهم محتشدا
قالت لسعدى واخرى من مناصفها
ما هاج هذا وقد خيلته هجدا

فقلت فقلت لها ما زلت اكنتمكم
وساوس الحب حتى ضاف فاعتمدا

ارقت من خلسة باتت وساوسها
تسري علي وباتت دارها صددا

حوراء كانت هوى نفسي ومنيتها
لو قرب الدهر من لقيانها امدا

ولو تكلم محمولا جنازته
قد مات بالامس او ترثي له خلدا

فالقلب صب معنى حين يذكرها
والعين عبرى تقاسي الهم والسهدا

ما ان رايت كمشفوف بحكمو
يبقى ولا مثلكم يعتل لو رقدا

وعدتني ثم لم توفي بموعدة
فكنت كالمن لم يمطر وقد رعدا

اذا تأيت دعاني منكم نكر
فان دنوت منعت النائل النكدا

بليت والنأي متروك على حزن
ولا أرى القلب الا زادني بعدا

أرعى من العهد والميثاق حقهما
لا يصلح الحر الا حفظ ما وعدا

اني حلفت يمينا غير كاذبة
عند المقام ولم أقرب له فندا

لو خير القلب من يمشي على قدم
لاختار سعدى ولم يعدل بها احدا

لو ساعفتنا وصد الناس كلهمو
لما وجدت لفقد الناس مفتقدا

تركنتي مستهيام القلب في شغل
لهفان لا والدا أهوى ولا ولدا

أخا هموم وأحزان تأوبني
فأخشى اليك اني ميت كمدا

كأنني عابد من لب رؤيتها
ان المحب تراه مثل من عبدا

لا ارفع الطرف في النادي اذا نطقوا
ولا أزال مكبا بينهم ابدا

بهم نفس معنساء بذكركمو
اذا أقول خيا مشبوبة وقدا

والقلب عندك مأخوذ ميامعه
فلا يروعه من قام أو قعدا
أبليت جسمي فنفسي غير آمنة
أن يدرك الروح ما قد خامر الجسدا
الا تخرجت مما قد رميت به
وسط النساء لمن أفنى وقد رقدا
لو كان ذا قوة عفت أجلادته
وقد ازيد على ذي قوة جلدا
لكن في الحب اسقاما منهلة
لذي الحلاوة حتى يجهد الكبدا
فلن أكون حديدا في مقاتكم
كما خلقت ولا صوانة صلدا
قالت اراك تعزى عن زيارتنا
وقد يزور بيوت الحي من وجدا
فقلت : اني عداني ان أناوركمو
قوم يبيتون من بفضائنا رصدا
مففلون عن الخيرات عندهمو
من فطنة الشر علم لم يكن رشدا
ما ضر اهلك يا سعدى فقد تهمو
من عاشق زار لو قالوا له سدا
ان التهم عنى عن زياتكم
ممن عقلت وامسى ذاك قد جهدا
مخلابات يرعى كل بارقة
لو كان يصفو له ورد لقد وردا
فأرسلت حين كل الطرف انهموا
قد نوموا فأتنا ان كنت مفتادا
ووطنت تربها الحواء ليلتها
قبل الرسالة حتى أصبحت عضدا
ولم ادع زينة حتى لبست لها
من الجديد لكي الم بهن سدا
في ليلة خلف شهر الصوم ناقصة
تسعا وعشرين قد أحصيتها عددا
حتى ارتقيت اليها في مشيدة
دون السماء تناغى ظلها صعدا
لما رأت لمحة مني مرغشة
خضرا وحمرا وصفرا بينها جددا

قالت لترب لها كانت موطنه
جاء المرعث فائني عندك الوسدا
وأحسني حين تلقيه تحيته
ولا تكوني اذا حدثنا وتدا
خفي قريبا وعودي ان حاجتنا
دون القريبة في قلبين قد كمدنا
طالالتنائي فكل غير متترك
حتى ترى عاتبا منا ومضطردا
حتى التقينا فمن شكوى ومعنية
نكرها لا نخاف العين والرصدنا
غاب القذى فشربنا صفو ليلتنا
حين نلهو ونخشى الواحد الصمدا
قالت فائى بنفسى جئت مسترقا
من العدو تخطى الوء روالجدنا
جور اتى بك ام قصد؟ فقلت لها
ما زلت اقصد لو تدنين من قصدا
لا تعجبي لاجتيابي الليل منسرقا
ما كنت قبلك رعيديا ولا بلدا
يا رب قائلة يوما لجارتها
ان المرعث همى غاب او شهدا
صددت عنها فلم أدمن زيارتها
الى هواك فلم تجزي به صفدا
لما قضينا حديثا من معاتبة
وكاد يبرد هذا الشر او بردا
جاءت بأزهر لم تنسج عمامته
اذا الزجاجاة نادت كأسه سجدا
ريان كالريم خداه ومذبحه
ان لم يرع بسجود سامرا ركدا
نلهو اليهم ونشكو بث انفسنا
في سلوة وزوال الليل قد افدا
حتى اذا طارق ثارت عداوته
بأول الصبح كانت صالحا فسدا
قامت نهاوى الى اهل تراقبهم
مشي البهير ترى في مشيه أودا
والعين تحدر دمعا جد واكفة
على مساقط دمع كان قد جمدا

على أن عنصر الرسالة وحاملها بارز في العمل الفني فهي قد أرسلت مع وصيبتها رسالة له أن تعال أن كنت مفتادا .

فاذا كان عمر بن أبي ربيعة يتغزل في بعض الاحيان بهؤلاء الرسل (٤) فان بشارا لم يلجأ الى مثل هذا الغزل .. ونحن اذ نرى بشارا قد حبك العملية الشعرية بتلك الاسس الحركية الدينامية وذلك ارهاصا لما سوف يحققه فانه لا شك منضاف الى هذه الاسس ذلك اللقاء الذي تم بعد الجفوة والذي يحقق بعد الغياب .. وهنا تتاح الفرصة لبشار أن يشكو لها آلامه ووجداناته وكذلك هي .

ويبدأ العتاب ونرى بشارا يفتن في حديث المعاتبة وينوع فيه ويشقق .. ومع اللقاء يكون اللهو وبشار في حديثه عن اللهو يتجه الى وصف مجلسهما ووصف ابريق الخمرة .. واذا كان بشار قد اتجه هذا الاتجاه المادي في وصف اللهو فان عمر بن أبي ربيعة قد اتجه في بعض الاحيان الى الحديث عن اللهو من الوجهة النفسية الخالصة (٥) .

ويأتي الانصراف نتيجة طبيعية للقاء ويلازم الانصراف الحديث عن تيلج الصبح ذلك الصدم الذي كدر الصفو وانتقم من بشار وصاحبته .. غير اننا لا نرى بعد ذلك موعدا آخر من بشار يحدده لحبيبته كما نرى ذلك عند استاذة عمر بن أبي ربيعة الحقيقة ان جمالية الاثر الفني تأتي من هذه المعاكسة بين الواقع والخيال .. فبشار لم يكن جميلا ولم يكن جذابا وانما كان اقبح الناس عموما وكان اذا اراد ان ينشد بصق عن يمينه وعن شماله فيأتي بالعجب (٦) . ولكنه بالرغم من كل هذه الصفات الواقعية كان مرحا في رحلته الغزلية الخيالية هذه وكان ميالا الى المزاح وهذا ما نستشفه من النص نفسه .

فهو يقول : رب انسانة غرقت في حبه وهامت بجماله - على طريقة عمر بن أبي ربيعة - هذه الانسانة اصابها الوجد لحبها به .. ولكن بشارا يعرض عنها لصالح سعدى :

يا رب قائلة يوما لجارتها
ان المرعث همي غاب أو شهدا
صددت عنها فلم ادمن زيارتها
الى هواك فلم تجزى به صفدا

كانسه لؤلؤ رثت معاقده
فانساب اوله في السلك فاطردا

وقمت لم أقض منها اذ خلوت بها
الا الحديث والا أن امنس يدا
حتى خرجت فكان الدهر منذحلا
بين القرينين حلالا لما عقدا

الاسس الحركية وجمالياتها في العمل الفني :

الاساس الاول الذي سيطر على بشار خلال عمليته الفنية هو محاسن حبيبته فقد كان وصف محاسن الحبيبة جزءا لا يتجزأ من رحلته الغزلية .. وقد اطلال بشار الوقفة على هذه المحاسن ونلاحظ ان عنصر الزمن واضح في عمل بشار فقد أثر الليل في هذه المغامرة ولم يصرح بحبه لليل على لسانه بل تكلم بشكل غير مباشر وذلك على لسان صاحبتة التي أرسلت له وصيبتها في الليل .. انه وقت خصيب عند بشار .. وهذا العنصر قد لون المغامرة الشعرية فأعطاهم بعدا فنيا رائعا .

ويبدو لنا من خلال القصيدة ان الشخصية الاصلية فيها هي شخصية بشار فانت واجد منذ بداية النص حتى آخره تلك الشخصية التي تنحرك هنا وهناك .. فلم يغيب بشار من هذه المغامرة الغزلية سواء في بداية القصيدة أو في نهايتها .

الا أن بشارا ترك الفرصة سانحة لظهور بعض الشخصيات من حوله .. وتبدو لنا سعدى على المسرح لاول وهلة ولكنها لا تظهر بمفردها وانما تظهر ومعها وصيفاتها وجاراتها وهنا يستغل بشار الفرصة ليصف اله وعذابه لفراقها ويصف قلبه المعنى لاجلها وعينه العبرى التي تقاسي « الهم والسهدا » .

فاذا كان بشار الشخصية الرئيسية في العمل الفني ثم كانت بعد ذلك حبيبته سعدى ووصيفاتها فان قصة الحب والمغامرة الغزلية لتقتضي من بشار عنصرا آخر يكمل القصة ويلون المغامرة من هنا لم ينس بشار دور الواشين والمتوصدين .. وهل كان بعده وجفاؤه عنها سوى نتيجة مباشرة لوجود هؤلاء المغفلين عن عمل الخير على حد تعبيره !

والمعنى رشيقا وأكثر فيه من بيان الصبابة وتوجع
الكآبة وقلق الاشواق ولوعة الفراق «(٨)» .

ولا يخفى أن الرقة في هذا العمل الفني تأتي
رونقها من هذا الجو الحذر المتصل بالخوف .. فهناك
الواشون والمتربصون :

فقلت اني عداني أن ازروكمو
قوم يبيتون من بفضائنا رصد
مففلون عن الخيرات عندهمو
من فطنة الشر علم لم يكن رشدا
فأرسلت حين كل الطرف انهمو
قد نوموا فأتنا ان كنت مفتأدا

وهكذا تتحرك العناصر اللغوية في هذا البناء اللغوي
المتناسك متسلسلة مترابطة منسجمة تجري برفق
وسهولة دون تعثر .

الا أن روعة الاثر الفني تأتي من التطواف الغريب
والسير في مجاري الطبيعة الكبيرة انه سار في الهضاب
الواسعة والادوية الكبيرة حتى وصل اليها .

والواقع اننا ندهش من روعة هذه المسالك التي
ذكرها بشار في اطار ادبي شعري .. ان الشيء الذي
يعطي الاثر الفني جمالية مستقيمة هو ان احداث
العمل الفني كانت هادئة وساكنة فكل ذلك حصل بعد
ان ادلهم الليل ونام القوم .

يضاف اذن الى العناصر الفنية التي اعطت جمالا
وتألقا للاثر الفني هذا السكون والهدوء المتميزان
بالعقلية المتزنة عند بشار .. فكل حركة قام بها
بشار محسوب لها من ذي قبل .. فحبيبته سعدى
كانت قد وطنت تربها الحولاء تراقب مجيئه :

فأرسلت حين كل الطرف انهمو
قد نوموا فأتنا ان كنت مفتأدا
ووطنت تربها الحولاء ليلتها
قبل الرسالة حتى اصبحت عضدا

وهو عندما لاقى حبيبته كان في غاية التألق وفي غاية
الزينة .. فهو لم يدع زينة الا ولبسها لكي يلهم
بوصيفاتها :

هذا الكلام ظريف وجميل في آن .. وتأني جماليته
من هذه المعاكسة المعنوية .. فهو بشع في غاية
البشاعة من الوجهة الواقعية ولكنه ظريف مليح في
غاية الظرافة والملاحاة من الوجهة التعبيرية الجمالية .

وهنا يجب علينا أن نفرق بين الجمال الحسي
الواقعي وبين الجمال المعنوي (الظرف والظرافة والملاحاة
في التعبير) .

وبهذا ينطبق على هذه القصيدة قول الفيلسوف
« كنت » بصدد تفريقه بين جمال الطبيعة وجمال
الفن : « الفن ليس تمثيلا لشيء جميل وانما هو
تمثيل جميل لشيء من الاشياء » (٧) .

لقد عكس لنا بشار حالة نفسية حصلت بقالب
تعبيري جميل وبذلك كان اثره الفني - على الرغم
من قبح واقعته - مصورا تصويرا ممتعا ..

والحق يقال ان بشارا في هذا كان رقيقا .. هذه
الرقة تمثلت في هذا القالب الفني وبذلك ازداد النص
رونقا وجمالية بهذه المقارنة بشيء معاكس او بشيء
قبيح .. فهو قد قلد افعال العاشقين الحركية
(لا الفنية ذلك لان الاعمى والمبصر سواء بشعر
الحب) فبشار فارس جال الوديان والصحراء
الشاسعة لكي يتوصل اليها .. فهو ليس رعيديا ولا
خائفا من احد .. لقد قطع الهضاب الوعرة :

قالت : فأتى - بنفسي - جئت مسترقا
من العدو تخطى الوعر والجدا

جورا أتى بك ام قصد ؟ فقلت لها
ما زلت اقصد لو تدنين من قصدا

لا تعجبي لاجتيابي الليل منسرقا
ما كنت قبلك رعيديا ولا بلدا

ولا ادل على رقة الاثر الفني من ذلك البناء اللغوي
المتناسك الفعال في القصيدة .. فقد استطاعت
الالفاظ أن تأتي بالدلالات الواضحة لما في نفس بشار
وصاحبته .

لقد تقيّد بشار بوصية أبي تمام للبحثري عندما
قال له : « .. وان أردت التشبيب فاجمل اللفظ رقيقا

ولم أدع زينة حتى لبست لها

من الجديد لكي الم بهن غدا

وهكذا تتوالى الأحداث بعقلية مترنسة تتصف بمجالية الحكمة الفنية .. وما دام بشار في رحلة غزلية خيالية فانه سوف يكون حذرا في حبه، الافكار وصبها في وعاء اللفظ .. وكنا نتوقع ان يشرح بشار في شطط القول ما دام كذلك الا ان ذلك جاء معاكسا لظننا ... فقد حقق بشار خياله من هذه المطابقة التامة بين الالفاظ والمعاني دون زيادة وتقصان ثم من هذه الموافقة بين الفكرة والشكل الفني على حد تعبير الفيلسوف الالماني « هيجل » (٩) ان صنع بشار هنا كصنيع الرسام الذي يرسم الشكل فيولي اهتمامه الخط الدقيق الذي يحد جوانب الشكل او مثله مثل النحات الذي يعنى بصقل تماثله ومناسبته التامة للموضوع الذي يمثله ويشخصه (١٠).

ان التناسب اللفظي وانسجامه مع بعضه البعض من جهة وتوالي المعاني متسلسلة وتناغمها من جهة أخرى يجعلنا نشبه فعل بشار بالمصور الذي يرسم ويخط والذي يهتم بلطخات الالوان وانسجامها وتناسبها .

ويبدو الاثر الفني اكثر حيوية ودينامية بفضل هذا الجدل الفني فيه .. فسعدى تعدده ولكنها لا تفي بالوعد .. ومن هذا التضاد يكون شيئاً محزناً لبشار :

وعدتني ثم لم توفي بموعدة

فكنت كالمرن لم يمطن وقد رعدا

وهو بالتالي يحب ان يدنو منها ويحدثها ويطفئ لظى قلبه بمحادثتها ولكن يكون النقيض .. فهو لا يرى الا الصد والتمنع :

إذا نأيت دعاني منكمو نكد

فان دنوت منعت النائل النكد

وبهذا يكون بشار قد رسم لنا هذه الحركة النفسية بعبارات دقيقة كاملة وبين لنا حركة الجدل الفني والتأثير المتبادل على صعيدي النفس والفكر .

أليس من صفات الجدل طرح الفكرة ثم نقضها ثم جمع الفكرة والنقيض معا ليحصل فيما بعد التركيب (١١) وهذا ما فعله بشار فقد أثبت الحب ثم نفى تحقيقه ومن هذا الاثبات والنفي كان شيئاً مركباً وهو انه اجتمع بها أخيراً وإن كان لم يحقق سوى اللسة والحديث :

إذا نأيت دعاني منكم نكد

فان دنوت منعت النائل النكد

حتى التقينا فمن شكوى ومعتبة

نكرها لا نخاف العين والرصد

وقمت لم اقض منها اذا خلوت بها

الا الحديث والا أن امسى يدا

صحيح ان بشارا قد بالغ في وصف حبه واخذ يفصل ويدقق في معنى النحول والسقم الذي اصابه تجاه سعدى ولكن يبقى كل ذلك في حدود الفن الذي تجاوز الواقع .. وتنطبق على هذا الاثر الفني المقولة النقدية التي تذهب الى ان « أعذب الشعر أكذبه » فبشار يدعي النحول ويزبرجه بقالب فني رائع وذلك ليسترحم حبيبته سعدى .. فهو هنا يختلف عن قيس بن ذريح الذي قال في المعنى نفسه :

ولحب آيات تبين بالفتى

شحوب وتعري من يديه الاشاجع

وكان ابن ذريح صادقا من الوجهة الواقعية ... ولكن بشارا لا يبلغ روعة المتنبي في هذا المعنى مع ان الآخر غير صادق من الوجهة الواقعية عندما قال :

ابلى الهوى اسفا يوم النوى بدني

وفرقت الهجر بين الجفن والوسن

روح تردد في مثل الجمال اذا

أطارت الريح عنه الثوب لم يبين

كفى بجسمي نحولا انني رجل

لولا مخاطبتني اياك لم ترني

على أن قارئ الاثر الفني اذا تمعن تفهم النص لا تغيب عنه تلك الموسيقى التي تولدت عليه القصيدة لا يفوق البحر الطويل من حيث هو بحر خضم يستوعب

ما لا يستوعب غيره من المعالي ويتسع للفخر وللحماسة والخيالات الواسعة وسرد الحوادث وتدوين الاخبار ووصف الاقوال .. اذا كان البحر البسيط لا يفوق الطويل في مثل هذه الصفات فان هذا البحر يفوق الطويل بهذه الرقة والجزالة وهذه الموسيقى الاكثر رنيناً وجرساً والمتولدة من قافية الدال التي تشبه رنين المطرقة على السندان .

والحقيقة عندما نتأمل هذا العمل الفني نخرج عن قيد الزمان ونشعر بان الزمن قد وقف مجراه ومما يجعل الابيات الشعرية روعة فنية ان بشاراً ذكر زمنين احدهما طويلٌ وذلك عندما التقى بهما وسامرهما وشرب الخمر وأياها :

جاءت بأزهر لم تنسج عمامته
اذا الزجاجة نادت كأسه سجداً
نلهو اليه ونشكو بث أنفسنا
في سلوة وزوال الليل قد افدا

والثاني زمن قصير وذلك عندما فاجأهما الصبح وعكر عليهما الصفوة والنشوة :

حتى اذا طارق ثارت عداوته
بأول الصبح كانت صالحاً فسد

هذه الصناعة الفنية الدقيقة من جملة الاشياء التي جعلت بشاراً متفوقاً .. فبشار هنا وفي الزمن القصير ينظر نظرة ازدياء واحتقار اما في ذلك الزمن الطويل فقد كان في غاية السعادة والفرحة . وبشار في هذا يفرق بين الزمن الخارجي الموضوعي والزمن النفسي الداخلي .

ولم يكتف بشار بهذه العناصر الجمالية الفذة بل نراه يهتم بعنصر جمالي ممتاز هو اللون فاذا جاءته حبيبته سعدى فانه يلبس احسن الثياب ويتزين احسن زينة .. وهنا نجد أنفسنا تجاه نوع من الشعر ملون كما نجد أنفسنا تجاه شريط من السينما ملون ايضا . فالشعر يكتسب بهذا التلوين عنصر الطرافة والابداع . وهكذا جعلنا اللون الشعري نستحضر ذكرياتنا :

ولم ادع زينة حتى لبست لها
من الجديد لكي ألم بهن غداً

لما رات لمحة مني مرعشة
خضراً وحمراً وصفراً بينها جدداً

هذه الالوان التي جاء بها بشار داخل العمل الفني فأعطته رونقاً جديداً ورقة .. ان بشاراً هنا حاول ان يستغل اللون استغلالاً مختلفاً لانه عد اللون بمثابة اصداً لنغمات كامنة في نفسه .. وهكذا يدرك العقل الاشياء الواضحة بينما تحس النفس بالاشياء غير الواضحة كما عند بشار الاعمى الذي لم يعرف ما هي الالوان لانه ما نظر الى الدنيا قط فقد ولد اكمه . وهكذا اصبح اللون لغة وجدانية تتحدث الى نفوسنا . واذا كان لكل لون دلالة خاصة تتفق مع حالة نفسية معينة عند بشار فان دلالات الالوان المختلفة حين تتآلف متعاقبة تكسب ابعاداً فسيحة تنفذ بها الى أغوار النفس البشرية (١٢) .

وبشار هنا أعطى استنتاجات مختلفة من صنع خياله .. فهو احب وعشق وابتعد وحاول ان يسافر ويقطع الفلوات ليأتي حبيبته سعدى ويكون ما يكون من ارسال الوصيفة وتهيئة الجو المناسب ويكون بعد هذا اللهو والشرب .

ان بشاراً هنا ليس بشاراً الواقعي الذي تحدثنا كتب الادب عنه وانه عاش في العصر العباسي ان بشاراً في هذا العمل من نوع آخر فهو على هذا النقيض من شخصية بشار الاولى .. انه هنا بشار الفنان بشار الشاعر الذي لا يتفنن على نمطية واحدة وانما يريد لخياله ان يلعب لعبته ولا بد للتخليق من ان يتم لكون بعد هذا اثر فني من اعظم الآثار الفنية عند بشار

هذا الخيال الشعري ليس خيالا متعثراً سلبياً وانما هو خيالي ذكي .. انه ليس بالخيال السلبي الذي يعمل بطريقة شبه لا ارادية .. انه ايجابي يعمل عملاً واعياً يستخدم فيه الذكاء والارادة ويلتزم عناصر الجمال (١٣) .

لقد حقق بشار غزله بواسطة هذا الخيال وقد لهُ مع سعدى بخياله ايضا وبذلك تنطبق عليه جملة الفنان رينوار عندما قال : « انني اضاجع المرأة بفرشاتي » (١٤) .

ان وظيفة الفنان هي ان يستلهم اعماقه ويخرج ما فيها ويصوغه صياغة فنية تجعله جديراً باهتمام

الجمال الفني بين معرفة الماضي وخيال المستقبل :
ما مقدار الالتفات الى الماضي في هذا العمل الفني
وما مقدار استشراف المستقبل ؟

لو تتبعنا المنهج العام للآثر الفني تبين لنا ان بشارا
التفت الى وعاء القديم وغرف منه وذلك عن طريق
سماعه لهذا التراث الضخم الذي خلفه الشعراء السلف .
الا اننا نحس ان نقول انه لا بد من اشياء جديدة
في هذا الآثر وذلك نتيجة لتفاعل القديم مع الجديد
الذي تأثر به بشار من ثقافة جديدة واقامة في مجتمع
يختلف جد اختلاف عن المجتمع السابق .

لنأخذ بيتا من الآثر الفني لنعرف مدى الجديد
فيه .. يقول بشار :

وعدتني ثم لم توفي بموعدة
فكنت كالمن لم يمطر وقد رعدا

يتحدث بشار الى صاحبه ليقول لها : انك تقولين
لي دائما ان سوف آت اليك لكنك لا توفين بهذا
القول .. انك كالسحاب الذي يسمعا صوت رعد
ولكنه لا يمطر .

كيف عبر بشار عن هذه الصورة ؟ انه عندما قال :
وعدتني ثم لم توفي وعذك التفت الى معنى كان
الشعراء قد لفظوه من افواههم فهو بهذا لم يأت بجديد
ونحن اذا عدنا بذاكرتنا الى الماضي نجد ان عمر بن ابي
ربيعه قد قال مثل هذا المعنى :

ليت هذا انجزتنا ما تعد
وشفت انفسنا مما تجد
واستبدت مرة واحدة
انما العاجز من لا يستبد (١٦).

الا ان عمر لم يستطع ان يعقد الصورة الفنية
تعقيد بشار فقد ترك عمر احساسه تجاه حبيبته
يضرب على وتر واحد دون ان يلون الصورة .. اما
بشار فلم يكتف بما فعل عمر فهو لم يكتف بأن قال
ايها الله وعدتني ولم تفي بوعدك .. فلو قال هذا لكان
مقلدا بل استعمل بشار تركيبا عجيبا كان مصدره
احساسه الخاص ، من هنا أخذت الصورة أبعادها
وذلك عندما شبه صاحبه عندما تعد ولا تفي بوعدا

الآخرين قادرا على اثاره مشاعر اكبر عدد ممكن من
المشاهدين وقد يكون هذا هو اساس طبيعة العمل
الفني المركبة : يفوض الفنان بادىء ذي بدء في اعماق
اغوار نفسه متخطيا حواجز الفكر المنطقي المستنير
ليصل الى الوحي الكامن في اللا شعور الذي لا يلبث ان
يطفو على السطح ثم يستخدم قواه الذهنية الواعية
لتشكيل العناصر الجمالية .. وقد تلعب الذاكرة دورا
في تكييف ما نظمته الذهن الواعي فتتمد الخلق الفني
حينئذ بعنصر جديد هو الخيال .

لقد كان الخيال في عمل بشار منبع الابداع وقد
اعان بشارا في تحقيق التوازن بين العالم الداخلي
والعالم الخارجي .. العالم الداخلي هو ما كان يعاني
منه بشار من توجع وألم والعالم الخارجي هو هذا
الليل الذي لا يشرق فيه نور غير لهيب القلب المتقد .
فاذا كانت مملكة الانسان تعيش على ضوء النهار فان
المملكة الالهية لبشار لا تبدأ الا مع ظلمات الليل حيث
يسطع نور غزلي لم يسجله سوى القليل من العباقرة
الشعراء مثل الفنان العظيم بشار .

نحن أمام قصة من المغامرة الغزلية وامام اسلوب
من أساليب البيان .. ولا شك ان القصة التي عرضها
بشار تؤلف ظاهرة من أبرز الظواهر الغزلية في شعره
ولهذه القصة بداية ونهاية . اننا نلاحظ اولا أن القصة
قامت على هذا الاندفاع العاطفي الذي ايقظ صاحبه
وانتهت بهذا الوصال المحدود لقد حقق بشار لقصته
عناصرها الرئيسية من شخصيات ومكان وزمان وحدث
وعقدة .. الا ان النفس القصصي عند بشار كان
قصيرا ..

ومهما يكن نصيب هذا النفس القصصي من الطول
او القصر فانه يطرح امامنا قضية خطيرة وهي ان هذا
النفس القصصي كان دليلا على ان بشارا كان فنانا
ولم يكن محبا عاشقا . وقد كان للحوار الذي داخل
القصة اثر فعال في حيوية النص الشعري فقد فرض
نوعا من الاسلوب الذي يتألف مع طبيعة القصة ، انه
هذا السؤال الذي لا يعنى ببعض الصناعة الكلامية
قدر ما يعنى بتوجيه جهده نحو اقامة القصة نفسها .

وهذا بالتالي ما جعل الكلام في النص سهلا رقيقا
تحقيقا لمذهب بشار الشعري وهو السهولة او ليست
هذه الشعبية أو السهولة اللفظية جعلته راس
المحدثين (١٥) .

بالسحاب الذي يرعد ولكن دون أن ننتظر منه مطرا ..
انها صورة فنية رائعة وتأتي روعتها من هذا الربط
الحسي (رعد) المعنوي (وعد) .

وبهذا كان بشار يستشرف المستقبل بخياله
ويعرف الماضي بعقله وهنا روعة الفن الخالد ويقول
بشار في بيت آخر من القصيدة :

غاب القذى فشرينا صفو ليلتنا
حين نلهو ونخشى الواحد الصمدا

يريد بشار ان يقول : انه عندما انصرف الحساد
والرقباء اصبحت ليلتنا صافية كالخمرة عندما نشربها
لا يعكرها شائب .

هذا المعنى تداوله الكثير من الشعراء ونجد
عمر بن ابي ربيعة ايضا يستعمل هذا المعنى في رائيته:

فلما فقدت الصوت منهم واطفئت
مصاييح شيت بالعشاء وأثور
وغاب قمر كنت أهوى غيوبه
وروح رعيان ونوم سمر
وخفض عني الصوت اقبلت مشية ال
حباب وشخصي خشية الحي ازور
فحييت اذ فاجأتها فتولت
وكادت بمخفوض التحية تجهر (١٧)

صحيح ان عمر بن ابي ربيعة جاء بالمعنى مطولا
بعض الشيء حتى انه استغرق ابياتا اربعة ولكننا
نشعر امام معنى بسيط لا تعقيد فيه فلو قال بشار
على نمط عمر لكان مقلدا وهل لهذه الثقافة المعقدة
التي داخلت عصر بشار ان تسوقه الى هذا المعنى
البسيط .. وهل لتلك العبقرية الشعرية التي دخلت
تناقش وتجادل في فلسفة الكلام أن تجعله يصوغ هذا
المعنى صياغة قريبة مباشرة !!

لقد تعمق بشار في صنع هذه الصورة الخيالية
حتى اننا نرى في مصراع هذا البيت اربع استعارات
متتابعة - والاستعارة بطبيعة الحال تحمل مخزونا
نفسيا لا يمكن ان يحمله التشبيه البليغ مثلا - فقد
شبه الرقيب بالقذى لانه يكدر عليم التذاذه بالحبيب

كما يكدر الالتذاذ بالخمرة وشبه الليلة بالخمسة
بقوله « شرينا » وشبه تلذذ تلك الليلة بشرب الخمر
وشبه خلو الليلة من المنفصات بصقاء الخمر . هل
يمكن اذن ان نقول ان صناعة بشار الفنية تريد ان
تضيف أشياء جمالية تقوم على شيء من الجهد الفني؟

ان مذهب بشار في قصيدته هذه ليس الا نتيجة
للتطور الذي مر في الشعر العربي وأثرا من شخصيته
وتكوينه .. ثم هو خليط من فن ابن ابي ربيعة وفن
الغزل العذري ايضا اما على صعيد الفن العذري فاننا
نجد قدرا من الابيات التي لا يكاد بشار يختلف فيها
رقة وسموا عن الغزلين العذريين وعلى صعيد الفن
العمرى نجد فيها ذلك الميل القوي لمنهج ابن ابي
ربيعة .. ويتضح تعلق بشار بمذهب عمر من خلال
هذا المنهج الذي سلكه في قصيدته هذه ذلك المنهج
الذي يعد طريقة لعمر في شعره .. طريقته بالسرد
القصصي او ما يعبرون عنه بالمصطلح الاوربي
The Matune Amd Mades of Mammative Frctiam

لقد تجاذبت بشارا قوتان : قوة القديم ومعرفته بمثالة
انها التراث الذي يملكه بشار وقوة الجديد بمثابة
انه اقامة لبشار بفكره وحاضره في هذا المجتمع الذي
يختلف جد اختلاف عن المجتمع القديم .

فبشار على الرغم من معرفته للماضي تطلع بخياله
الى المستقبل من هنا فانه احدث جديدا في هذا الاثر
« ولكن هذا الجديد لم يكن ابتكارا اصيلا لفن جديد
او ذهابا في باب من ابوابه مذهب لم يسبقه اليه احد
واقما كان تجديدا في طريقة التعبير وتوسعا في تحقيق
شعبية الغزل .. فلم يكن التجديد في التعبير عند
بشار تجديدا اختياريا وانما كان نتيجة العاهة التي
كانت فيه .. فبشار يذهب في الفنون البديعية في هذا
العمل الفني الذي يعتمد على الصورة والخيال مذهب
الشعراء يطلبها مطلبهم ويحاول ان يجدد بها « (١٨) » .

وقبل ذلك فعل بشار باللفظ الشعري من حيث
هو سبب يصل بين سامعه والمعنى فقد نقله كذلك
الى التقريب والسهولة والشعبية .

فلا نخطئ اذا قلنا ان بشارا اول من فتق
البديع .. والبديع لا يقصد به في ذلك الزمن معناه
الاصطلاحي الذي استقر في العصور المتأخرة (طباق -
جناس - تورية) وانما كان يراد به الى نحو ممن
التجديد في معالجة الشاعر شعره باستخدام الصور

المنقبضة التي تحب الانتقام من مجتمعه ورجاله فهو قد وجد بهذا اللون من الشعر متنفسا لما اتبعه معاصروه في نفسه من الحقد .

لقد كان بشار في عمله الفني شخصية فردية في تميزها .. ولم يكن سوى نتاج هذه الظروف المضطربة المختلطة الشديدة التعقيد .. فهو يمثلها جميعا يمثلها في حيرتها الفكرية ويمثلها في ذوقها الفني .. وما دام المجتمع الحضاري جديدا فلا بد من هذه الشخصية الجديدة التي تمثلت بشار .

فهو قد أدخل تجديدا في نظام الشعر العربي فقد احتفظ بالسنة الجديدة التي استنها عمر بن أبي ربيعة في الحوار والسرد القصصي في المعنى الواحد (٢١) إلا أن أسلوبه في هذه القصيدة مختلف بعض الشيء عن أسلوب عمر ويتضح فيه تأثيره بثقافته المعاصرة المعقدة.

وقد استطاع بشار أيضا أن ينفذ إلى أعماق أعماق المرأة فهو لم يكتب بالوصف الحسي وهذا ما كنا نتوقعه من رجل أعمى مثل بشار بل مال إلى السر الذي يكمن وراء الصورة الحسية وجميل ما تصور عبارات جيمس سكوت في كتابه : « صناعة الأدب » هذا الفارق بين الصورة الحسية والصورة المعنوية فهو يقول : « .. فالصورة والصورة الظاهرية هي العنصر الأول المميز في الفن التقليدي فهو يقوم على هذا الجمال الظاهري الخارجي والروماني في مقابل ذلك كله يميل إلى الوقوف على السر الذي يكمن وراء الصورة والاتجاه إليه .. وليس ذلك أن يقصد إلى ما لا صورة له وإنما يقصد إلى الحرية التي لا تقنع بأي شكل يقع لها » (٢٢) .

وبشار لم يقنع بالصورة الظاهرية بل ذهب إلى ما وراء الصورة .. ذهب إلى السر الذي يكمن وراءها.

● مآزن الوعر

١ - ابن قتيبة - الشعر والشعراء ص ٢٠

٢ - فيصل - شكري - محاضرات « بشار بن برد » لقيت على طلبة قسم اللغة العربية بجامعة دمشق سنة ١٩٧٣

والاكثر منها .. وكان يدخل تحت مدلول البديع أيضا وجوه الميل بالمعاني القديمة إلى وجه جديد من الاستعمال مغاير لما جرى العرف في تناولها والتسليم بها .

نظرة أخيرة وتقويم :

لن أسمح لنفسي - كما سمح النقاد المعاصرون لأنفسهم لنفوري من شخصية بشار - أن أفسد تقديري الفني الجمالي لهذا الأثر .. ولن أقول إذا رأيت خياله في هذا الأثر الفني يحلق وقرينته تذكو أمها اجادة صناعية ليس غير .

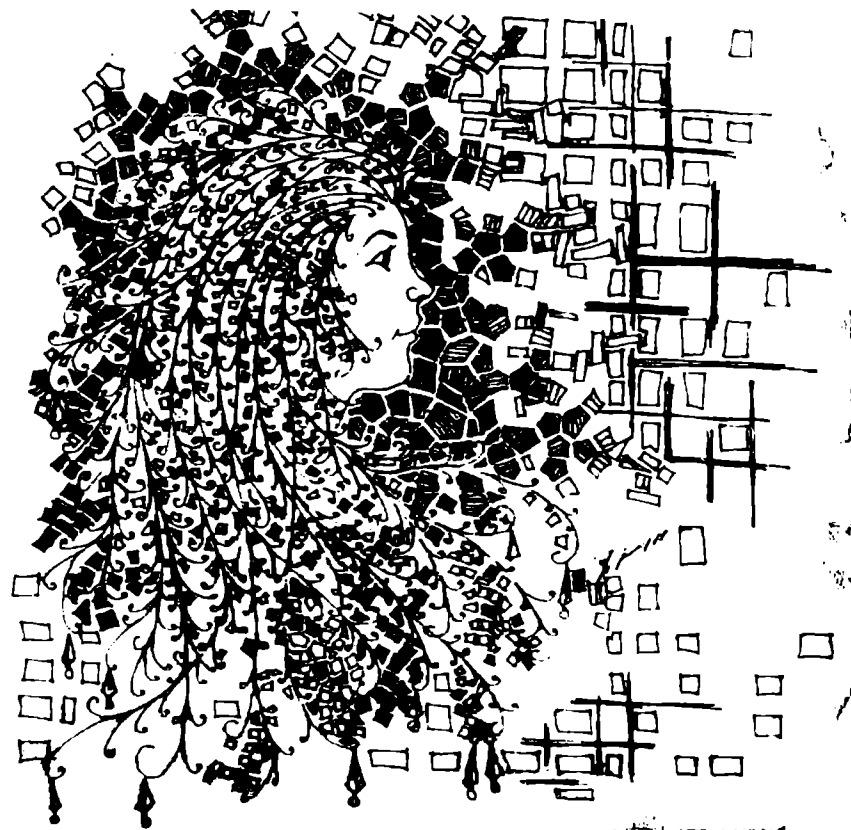
لقد كانت قصيدته هذه قطعة تسمو على الفن وذلك بالهامها الجمالي الذي يتضح لدى قراءتها والحقيقة أنني لست مع استاذنا الدكتور طه حسين - مع تقديري لرأيه - عندما جرد بشارا من كل صله فنية أو خلقية وذلك عندما قال :

« ... كان شعره كله اغراء بالفجور وحثا على الفسوق وافسادا حتى لاشد الناس حرصا على الشرف وأوفرهن حظا من الاحسان .. ومهما تكن لبشار الاشعار الجياد البارة فأنا لا احبه ولا أميل إليه .. ليس شعره شفافا كشعر أبي نواس والحسين ابن الضحاك ومطيع وحماد مجرد وإنما هو شعر صفيق لا يدل من نفس صاحبه على شيء وهو كاذب أبدا لا يحفل بالكذب » (١٩) .

لقد قرأت القصيدة مرات عديدة وشعرت أنني أمام روعة فنية فذة فهل يحق لنا أن نحكم على هذا الشعر بالكذب لمجرد أننا لا نعطف على صاحبه ... ولعلني لا أبالغ بأن النقد المعاصر يتجنب دراسة صاحب الأثر الفني لصالح الأثر نفسه ويقول الناقد ي . م فورستر ما معناه : ستبتعد الآثار الفنية عن قائلها مع تقدم الزمن وسوف يؤدي يوم ويقول لك الأثر الفني ها أنذا ودعك من مبدعي (٢٠) .

لقد استطاع بشار أن يرى في سعدي مجالا يعلو على الجمال الجسمي ولا أدل على ذلك من بعض الأبيات التي وردت في القصيدة والتي صور فيها لوعته وحزنه من هذا الفراق . حتى أنه في رأيته التي يقلولون أنه أفحش فيها لم يلجأ إلى نظم مثل هذا الشعر لمجرد شهوانية بل بدافع النقص الذي داخله وبدافع نفسيته

- ٣ - ديوان بشار بن برد ، محمد الطاهر عاشور ج ٢ ص ١٩٢
- ٤ - فيصل - شكري - تطور الغزل بين الجاهلية والاسلام ص ٥١٦
- ٥ - فيصل - شكري : تطور الغزل بين الجاهلية والاسلام ص ٤١٩
- ٦ - الاغاني لابي الفرج ج ٣ ص ١١١
- ٧ - اليافي - عبد الكريم : دراسات فنية في الادب العربي ص ٩
- ٨ - اليافي - عبد الكريم - دراسات فنية في الادب العربي ص ١٨
- ٩ - اليافي - عبد الكريم - دراسات فنية في الادب العربي ص ٣٨
- ١٠ - المصدر نفسه ص ٦٩
- ١١ - اليافي - عبد الكريم - دراسات فنية في الادب العربي ص ٨١
- ١٢ - رينية ويج - فيلسوف الجمال : ثروت عكاشة - عالم الفكر عدد ٤ ص ٢٠١
- ١٣ - المصدر نفسه ص ٢٠٣
- ١٤ - المصدر نفسه ص ٢٠٣
- ١٥ - البهيتي - نجيب : تاريخ الشعر العربي ص ٣٥٢
- ١٦ - ديوان عمر بن أبي ربيعة ص ٩٦
- ١٧ - ديوان عمر بن أبي ربيعة ص ٩٦
- ١٨ - من المستحسن الرجوع الى كتاب « تاريخ الشعر العربي حتى آخر القرن الثالث الهجري » للدكتور نجيب محمد البهيتي ، فقد طرح نظرية جديدة رائعة في الشعر العربي . . واستطيع ان اقول ان كل الذين اتوا بعده كانوا عالة على نظريته المطروحة .
- ١٩ - حسين : د . د . طه « من تاريخ الادب العربي المجلد الاول ص ٩٠ - ٩٧
- ٢٠ - الخطيب : د . حسام « الادب الاوروبي تطوره ونشأة مذاهبه الادبية والنقدية » .
- ٢١ - البهيتي : د . نجيب : تاريخ الشعر العربي ص ٣٥٠
- ٢٢ - المصدر نفسه ص ١٨٢



قِيسَات من الأدب المهجري

حنّا جاسر: الشاعر الشّاعر
بقلم: نعمان حرب

المخدوع بالوعود والعهود ، وتفرق أبناء البيت الواحد
تحت كل كوكب .

**فيا لجرح العروبة الدامي !
ويا لصغارة المتخاذلين !**

أما الباطل المدعوم بقوى الشر والظلم ، المعزز
بحرابها المسمومة ، فلا يزال متماديا في غيه ، غارقا في
بحور ظلامه . يلاقي أرضا عربية مفتوحة ، وصدورا
عربية خائنة .

من أعماق المأساة وثب النسر الفلسطيني الى قمة
الجبل . حمل البندقية والمدفع ، وملأ الكون زئجرا
ودخانا . ورفع القلم ، وسطر الكتاب ، وغمر الدنيا
نشيدا والحنانا .

**في كل وثبة : مجد وفخار .
وفي كل غزوة : بطولة وفداء .**

وعانق هذا البطل القادم من بحار الدمار ،
الخارج من تلال الأشلاء : أحرار كثيرون ، ومن أقطار

من ملاحم الثورات يتعلم الإنسان التاريخ .
ومن دياجير المظالم تنبت البطولات
والمآسي في حياة الأمم والشعوب لا نهاية لها .
وكم من مأساة ولدت الخوارق ، وصنعت العجائب
ومنها تتفجر البراكين النائمة ، وتندلع في ساحات
الوجود . وتمهد الآفاق لمشرق الشمس ، وضيء القمر
الظلام لا ينتهي الا عند بزوغ الفجر الواضح .
والباطل ينهزم عند يقظة الحق في ضمير الحياة .
ومأساة فلسطين ، اكبر لطفة سوداء في جبين
هذا القرن . واخرى سبة جاء بها الباطل من ديار
الظلم والجور والبهتان الى مهد الوحي والنور والايمان .
منذ عشرات السنين يتصارع في أرض الميعاد الحق
والباطل . ولا يزال الباطل جاثما على صدر الحق .
لان الذين يدعون صيانة هذا الحق قد تخاذلوا وتنازعوا
وتفرقوا شيئا واحزابا ، وانزلقوا في متاهات الانانية
يتناحرون . ويتزاحمون على دم الضحية ، ويتأجرون
باسمها في مصائر الشعوب .

ضعف الحق المقدس ، وشرد الشعب الجريح

انه يذوب في عصارة الفداء ، لتنتقل من ثناياها
الشرارات المضيئة في الاجواء المعريدة ، وتخلق المصباح
المشع الوضاء .

والشاعر حنا جاسر ، النازح عن أرضه العائش في
خضم الاحداث ، وفي مرارة الحرمان والاسى اضحى
مثل اخوته الكثيرين ، لا يؤمنون الا بالثورة الجارفة ،
طريقا للخلاص من المحنة ، بعد ان اصبحت المآسي
المتعددة وكأنها شعارات عربية .

ومثل وثبة النسر الفلسطيني الى قمة الجبل ،
يستقبل باسماء خناجر الغاصب تفرس في صدره ،
وخناجر ابناء العمومة والخوالة تنفرس في ظهره ،
ويمضي كالاسد الجريح يمزق الطواغيت والجلادين ،
كذلك شعراء الثورة الفلسطينية العربية ، يرسلون
الصرخة تلو الصرخة ، المشحونة بالآلام والانين الطافحة
باليأس والاسى ، الهادرة كالعاصفة في ضمير الخائفين
المتخاذلين .

وللشاعر حنا جاسر ديوان مطبوع ، صدر مؤخرا
في الارجنتين اسماء « أمة ... وجراح » واحتوى
هذا الديوان ثلاثين قصيدة في مئة وثلاث وعشرين
صفحة من الحجم المتوسط ، وكلها تصور هول النكبة
وتدعو الى مواصلة الكفاح والامل المعقود على المقاتلين
الاشاوس .

هذه القصائد ، هي نفي للجهد ، وصدى بالغ
من الاتهام ومن العتاب ، ومن فوران الشاعر في وجدان
الانسان العربي . وسوف اخصه بدراسة موسعة قريبا
ان شاء الله .

من هو الشاعر الشاعر ؟

— ولد في بلدة الطيبة المشرفة على البحر الميت ،
في ١٥ ايلول ١٩٢٥

— تلقى دروسه الابتدائية والثانوية في مدارس
القدس . وتخرج عام ١٩٤٥ من كلية « النهضة »
الوطنية القومية على ايدي مربين كبار منهم الاستاذ
العلامة خليل السكاكيني مدير الكلية وعضو المجمع
الفنوي في دمشق وبغداد .

الكرامة والنخوة ، وساروا بجانبه على دروب الموت
والتضحية .

وهذه الضحايا التي غطت تربة فلسطين ؟

وهذه الدماء التي روت الارض المقدسة ؟

هل تنهب ههنا ؟

الآمال لا تزال تتبخر في حلقة الظلام ، وتذوب في
احشاء الليل العابس .

وهذه الخطوط المتعرجة ، الراكضة في صحراء التيه ،
ترسم على خريطة الوجدان العربي رسومها الكريهة .
فلا يستيقظ هذا الوجدان ، ولا يصحو هذا الغافل .
وهذه البذور المسمومة ، يستقبلونها ويزرعونها في
ارضهم الطهور . ولا يخشون ثمارها القتالة في المستقبل
البعيد او القريب .

هذا السراب من الامل الخادع ، وهذه الاصداء
من الزيف والبطلان ، كيف يؤمن بها هؤلاء الضعفاء
المتخاذلون .

هؤلاء الخائفون على سلطانهم الا يخشون من نقمة
الامة وصراخ الاجيال ، ومسؤولية التاريخ ؟

فحتام يهيمون في غيهم . ويفرقون في جهلهم ،
ويخضعون لشهواتهم ، ويتناسون تاريخ الآباء والاجداد ؟

اللهم انقذ هذه الامة من هؤلاء الرجال الاشباح ،
المتسترين بعباءات العروبة ، الراكضون وراء الشهوات
والنزوات .

* * *

هذه المأساة شردت شعب فلسطين في كل بقاع
المعمورة .

هذه الكوارث المتلاحقة : من قيود وحرمان ، ومن
تخاذل وتآمر ، جعلته يكفر بكل العهود والمواثيق التي
قدمت له خلال اكثر من اربعين سنة .

هذه المأساة الهبت الشاعر ، وايقظت الكوامن ،
واوحت الى الادباء والشعراء بالدرر المشعة من منشور
ومنظوم .

وليس كالشاعر من يؤرخ خلجات شعبه .
انه يغني لحن الوجود ويعزف على قيثارة الزمن .
انه يدرك قبل اي انسان كيف تهطل الدمعة ،
وكيف ينز الجرح ، وكيف تنطلق الكلمة .

● قبسات من الادب المهجري ●

– مارس التعليم في الكلية الوطنية في نابلس وفي الكلية الاهلية في رام الله واسس فيها عام ١٩٥٠ حزب « الجيل الجديد » اشتراكا مع نخبة من الشعراء الثائرين اشهرهم الشاعر العبقري الشهيد كمال ناصر الذي ترأس الحزب بكل جدارة .

– استيقظت فيه موهبة الشعر منذ الخامسة عشرة من عمره ، ونشر في مجلة « الاديب » البيروتية والصحف الفلسطينية والاردنية .

– معظم شعره مستوحى من النكبة الفلسطينية وصراع العالم العربي اجمع .

– نزح عام ١٩٥١ الى الارجنتين واقام في مدينة قرطبة الى هذه الايام .

– درس اللغة الاسبانية على نفسه ، وحاضر فيها، وله مقالات نشرت في صحف قرطبة ومجلاتها .

– صدر ديوانه « امة .. وجراح » عام ١٩٨٠ وشاء الشاعر الثائر ان يخص مدينة دمشق بنفحة من نفحاته ، فنشر في جريدة « الوطن » الغراء الصادرة في الارجنتين لصاحبها الاستاذ عبد اللطيف اليونس هذه الرائعة الفريدة المشحونة بالانين والحنين: هذه أناشيد الموت ... والحياة .

اعزفي يا ريشتي لحنا غريبا عبقريا
اعزفي الحزن .. اذا ما شئت .. والذل الشقيا
اعزفي الصمت رهيبا يرهق الليل دوبا
اعزفي الموت .. فان الموت أمسى عربيا

* * *

ما تشائين اعزفي يا ريشتي لحن الالم
مزقي الاوتار ياسا ، واضطرابا ، وندم
حطمي العود اباء ، وجنونا عصبيا
واعزفي الموت .. فان الموت أمسى عربيا

* * *

هالني الحب على ثغر الصبايا .. كيف اضحى
هالني صوتك يا بنت بلادي .. كيف بحا
هالني ثوبك يا شعبي وقد بات زريبا
فاعزف الهول معي ، فالهول أمسى عربيا

● ● ●

هذه انشودة الموت .. تعالوا نتغنى
يا رفاقي في ربي القدس ، فما للعيش معنى
انشدوا الموت الى أن يصبح العيش ابيا
واعزفوا الجرح .. لعل الجرح يمسي عربيا

* * *

يا فتاة .. ركعت في حضرة السجان ذلا
وفتى .. يشهق مما كاله الجلاد ويلا
اصمتا ، لا تزعجا قوما يعيشون هنيا
واعزفا في حضرة السجان لحنا عربيا

* * *

يا سجون « النقب » السوداء عجي بالقيود
يا بنوك العالم الزهراء عجي بالنقود
يا فلسطين تلاشي ! اسلمي الروح الزكيا
كي يزيد العرب الصيد ، رصيда عربيا

* * *

يا توابيت الفناها على درب الفداء
يا مواخير عرفناها على درب الثراء
يا نعوشا .. يا عروشا .. آه يا اغرب دنيا
اعزفي ما شاء كل منك لحنا عربيا

* * *

فالربيع الحلو في « الطيبة » قد جف ومات
وكروم التين باتت كلها مستوطنات
حرثتها « جزمات » الخصم حرثا عسكريا
وبنت فوق قبور الزهر قبرا عربيا

* * *

زغردي بالدمع يا אחتي .. ففي الدمع طهاره
تفسل الامة من آثام اقطاب الدعاره
مزقي الثوب حدادا وانفلي شعرك نعيما
وارقصي للموت .. ان الموت أمسى عربيا

* * *

قطعي من جلدك الدامي بطاقات تهانسي
ارسلها زمن العيد الى أي مكان

فلعل الناس تدري ان في « الضفة » حيا
ولعل العيد يستيقظ ، يوما ، عربيا

* * *

واذا هاجتك يا اخت اناشيد الحياة
فاحلمي بالشام .. فالشام صمود ، واباء
واغسلي وجهك بالمجد الذي ظل نقيا
ان ترس الشام لا يفتأ ترسا عربيا

* * *

مدن العرب اندبي يا اخت .. واستثني دمشق
فهي من آثار هاتيك المواضي .. ما تبقى
قلبيها ، انها في قبلة الاعجاب تحيا
ان وجه الشام لا يفتأ وجهها عربيا

* * *

يا دمشق الثار ! يا آخر حب وكرامه
فجري الايمان فيمن فضلوا حب السلامه
اعزفي انشودة الصاروخ لحنا عبقريا
وامسحي العار الذي امسى شعارا عربيا

* * *

مهلا ، يا اخا العروبة !
سوف تتحطم القيود
وتنداس الحدود
ويستعاد الحمى المستباح
وتعود ايها البلب الفريد الى مرابع « الطيبة »
الى السروة الهيفاء في سفح « الخضر » (٢)
تشدو على افنانها
الحن العز الصداح
وانت رافع الراية
قوي الجناح

* * *

ومهما اثخنتك الجروح
وملأت جنوبك القروح
لا تتألم ، ولا تشكو !
فهذا القهر لن يدوم

ونحن لم نخلق للمذلة
« وانما خلقنا للفتوح »
يحسب الاعادي اننا في العدم
ولكننا : « من امجادنا في صروح »

* * *

كم رفرقت راياتنا
ونزلت منها آياتنا
وتفيا امجادها احرار وعبدان
وخضعت لها ممالك وعروش
وانحنت امامها هامات
وركعت لها طفاة

* * *

سوف ، يا اخي ، تعود
تخفق فوق رأسك البنود
وجحافل العرب
من مثقفين واعمال وفلاحين وجنود
يزحفون ثانية الى حطين
لتطهير فلسطين
من رجس الفاصيين .
والى شاعر « امة ... وجراح » تحية كل عربي
يلثم الجراح ..

نعمان حرب

السويدي

١ - الطيبة بلدة الشاعر في ضواحي القدس

٢ - الخضر : تلة مزروعة باشجار السرو ، تقع مقابل بلدة

- الطيبة - وفيها مقبرتها .

ولدت «يا ليل»

درة في جبين الشعر العذري

بقلم: زكي نضد

الا خرجت بمتعة او فائدة او بكتيها معا ، والا ازددت تقديرا لهذه القدرة الخارقة في السيطرة على قارئه والاستبداد بحواسه جميعا واصطحابه - عن رضا وحبور - في الطريق التي يختارها مهما طالت وتخرجت .

هذه المجموعة الشعرية اذن تضم المجد من طرفيه احدهما يتمثل في هذا النثر النقي الرقيق الذي ينساب من قلم شاعر مصطفى ثمرة فكر نير وخيال خير واطلاع عميق على ذخائر الفكر وكنوز الادب في الشرق والغرب ، وثانيهما يتجلى في هذا الشعر العذب السلس يجري خلف المعنى النبيل ويلبسه الثوب الرائق الاصيل . فتحتار في ايها استهواك وملك عليك مشاعرك ، اهي العاطفة المارة بالقلق والعبق والحرارة أم هي هذه البرود الزاهية الملونة كأنها وشي الربيع تثير الطرب والعجب وتنتقل فيها العين من حسن الى احسن ؟

لا مرأ في ان مدحة عكاش طرق كل ابواب الشعر ونظم في كل فن من فنونه ، ولكنه - لسر نجهله - وقف

بعد هذه الدراسة الجامعة المانعة التي وضعها الدكتور شاعر مصطفى مقدمة لديوان الشاعر مدحة عكاش « يا ليل » اصبح من العسير الادلاء برأي في هذا الموضوع . كل ما نستطيع عمله هو ان نجمم - على خجل واستحياء - بكلمة عابرة تعرب عن اعجابنا بهذه الدراسة ، او نضع يدنا على ذقنا كمن يدأور فكرة ، وليس في الرأس فكرة ، ذلك ان صديقنا الكاتب لم يدع زيادة لمستزيد ، فقد احاط بالمجموعة من جميع اطرافها والم بخفايا الليل وخباياه ونبش كل ما في الحنايا والزوايا . وهو - كما نلعم - خير من يكتب عن الشعر ويدرس الادب ويسلط عليه الاضواء ثم يعطي رأيه القاطع ، فميزاته دقيق امين لا يعرف المجاملة وغرباله متساوي الخروق لا يرحم ولا يجور . والذين اتيح لم ان يقرأ اوده يعلمون ان له في هذا الميدان جولات موفقة عن طول باع وغزارة علم وسعة ثقافية واصالة تفكير وصدق نظرة ، ثم انه يتمتع بأسلوب فريد او يكاد يكون فريدا يتميز باناقة الكلمة ورشاقة التعبير . وصفاء اللغة وبراعة الربط بين الشكل والمضمون ، فلا يجور احدهما على الآخر ، وهي مزايا قلما تتوفر لعامة الكتاب . وأشهد اني لم اقرأ له بحثا أو نقدا او خاطرة

نشيح عن محاسنها ونزور عن يسبح الخالق من
خلال التغني بفضائلها ؟

اني أصر على أن الالتزام وهو آخر « أزياء »
الشعر يجبان ينبع من اعماق الشاعر وينبثق من
وجدانه ، لا أن يفرض عليه من الخارج كما تفرض
الرقابة اسعار الخبز واللحم والفاكهة ، فالاجادة
لا تتوفر الا بقدر ايماء المرء بالمهمة التي يؤديها . وأنا
من الذين تفرغوا - أو اكاد اتفرغ - للشعر القومي ،
فشهادتي اذن غير مردودة ، ولكني اكره ان املي
رايي على الآخرين واقصرهم على السير في طريقي .
وكذلك مدحة عكاش فقد نظم في الوطنيات شعرا غير
قليل وخاض بيده وقلبه ميدان الكفاح ضد قوى
الظلم ، فاذا انكفأ الآن الى ذكريات الصبا
ومغامرات الهوى البريء ينفض عنها غبار السنين
- كما فعل شاعر عبقر - فمن الواجب ان نحترم
شعوره ونستمع اليه ينشد بنشوة المأخوذ:

سلي فؤادي كم يلقي وكم يجد
يذوب شوقا ولا يدري به احد

يطول ليلي من شوق فاحسبني
كأن ليلي لا يرجى له امد

كم جئت مقتضيا عينيك ما وعدت
واخلقت في الهوى عيناك ما تعدد

وكم بنيت الاماني في هواك وكم
تركت هذي الاماني عنك تباعد

خلفت في مهجتي حزنا يضج بها
وجمرة في حنايا الصدر تتقد

وبت تغفين ملء العين ناعمة
وبت وحدي بالاحزان انفرد

اشرعة الحب تقضي ان ندوب هوى
وغيرنا في بقايا الحب قد سعدوا

قد لذت بالصبر حتى عز مصطبري
ولذت بالرشد حتى خاني الرشد

سيسلب الدهر مني كل غالية
وحبك البكر لا يدري به احد

هذه المجموعة على الغزل ، وليس في الامر ما يدعو
الى الدهشة او الغرابة ، فالشعر شعر سواء غنى
للربيع او للشتاء وسواء مجد البطولة الحربية او
تكسر على شفتي مليحة مفنّاج . وقد تنبه نقّاد
الغرب الى هذه الحقيقة الازلية فلم يحبسوا الفنان
في قمقم ولم يضعوا اليه القوابل او يرسموا له معالم
الطريق التي لا يجوز له ان يحيد عنها ، بل اطلقوا له
حرية القول والعمل وقالوا له ان صدق العاطفة
وحسن البيان هما الشرطان الاساسيان للعمل الفني ،
فاذا توفرا لديه فله أن يصف عصفورا على عود او
يجرب سيفه على الحدود او يتغزل بالعيون السود .
المهم ان يصح فيه قول الشاعر :

إذا الشعر لم يهزك عند سماعه

فليس جديرا ان يقال له شعر

اما نحن فمقياس الفن عندنا لا يعني في كثير او
قليل بعنصر الاجادة الفنية ولا يقيم لها عظيم شأن .
غاية ما يريد ان يكون الفن عامة - والشعر خاصة -
في خدمة اغراض دنيوية ومعينة ، فاذا خرج على
النهج المرسوم فهو مطية للاستعمار او بسوق
للبرجوازية ، او هو من الطفيليات التي يقوم على
عائق التقديمية واجب استئصالها لئلا تسري عداها
الى نفوس الطبقات الكادحة . قيثارة الشعر عندنا
ليس فيها الا وتر واحد وحديقة النثر ليس فيها الا
لون واحد من الانيات وما عدا ذلك فرجس من عمل
الشیطان .

من هنا كانت جراحة مدحة عكاش في نشر ديوان غزلي
في زمن تكاثف فيه ادعياء الوطنية وتوالدوا كالجراد
تحت كل سماء ، واصبحت الكلمة الحلوة المنمقة سبة
بل جريمة تقود صاحبها الى مقصلة المروق او نزجه
- في احسن الظروف - في سجن الخمول .

نحن لا نجهل دور الادب الحماسي في حياة الامة
فهو يهز ضميرها ويوقظها من مراقد الهوان ويحفزها
لارتياذ العظائم ، ولكن هل يستطيع الجسم ان يعيش
على لون واحد من الغذاء ؟ ان اساتذة الطب يؤكدون
ان ذلك يؤدي الى ما يشبه الخور والانحلال . وهذا
حال الامة . انها بحاجة الى اكتشاف مصادر القوة
في طبيعتها واجتلاء اسرار الجمال . والمرأة قوة في
بناء الامة ومصدر جمال في كيانها لانهاية له ، فلماذا

ونحن نرى - كما ولا شك ترى ايها القارىء - ان
ليس في هذا الغزل ما ينبو به السمع أو ينافي حرمة
الادب ، بل هو يدعو الى الذاكرة قول عنترة :

واغض طرفي ان بدت لي جارتني
حتى يوارى جارتني مأواها

فهل من مشاحة اذا وضعناه في مستوى الشعر
الذي يقدر الفضيلة ويدعو الى مكارم الاخلاق ؟ وهل
ثمة ما يعلو على كتمان سر هذا الحب في قوله : وحبك
البكر لا يدري به احد ؟ . صحيح ان شعراء الغزل
لا ينتمون الى مدرسة واحدة وشعرهم لا يجري على
نهج فرد ، ولكن مدحة لم ينحدر ولا في قصيدة الى
حضيض التبذل والقول الرخيص بل ظل من اول بيت
في الديوان الى آخر بيت محافظا على عفة الكلمة وبراءة
النظرة وطهارة الوجدان . وهذا ما يغري بمصاحبته
الى نهاية المطاف ويدعو الى الاصغاء اليه بخشوع
وهو يتمم :

يا شال ، يامفناج يا اخضر

ناشدتك النعمى اما تسكر ؟

يا ناعما حل على ناعم

ومزهرا يدري به مزهر

حدث حديث اللين عن موسم

يضع منه المسك والعنبر

يا شال ما نيسان ، ما وردة
في جنب ما تخفي وما تظهر ؟

سترت يا فتان من شعرها
من حسنه - يا طيب ما تستر

جادت لنا نعماك في خصلة
شقاء . ما احلاك يا اشقر !

يا شال حسبي في الهوى انني
أهيم بالحسن ولا أظهر

أذوب في دنيك من لوعتي
وانت بي يا شال لا تشعر

مرة ثانية تعود الى الدهن صورة عنترة يقول
لجارتها ما يقول . ومرة اخرى نستعيد قول شاعر
مصطفى : ان الشاعر اسطاع في هذه الصفحات ان
يفني قلبه اغاني الحب كأحسن ما غنى المحبون وان
يصلي مخلصا للجمال كأخشع ما صلى العابدون . ونحن
نريد ان هذا الديوان على صغر حجمه درة لماعة في
جبين الشعر العربي يرفع صاحبه الى مرتبة الشعراء
العذريين من أمثال مجنون ليلى وجميل بثينة وغيرهما
من الذين نزهوا ألسنتهم عن نزوات الهوى وجموح
العاطفة وجهامة الضمير . فله منا الف تحية وألف
تهنئة .

زكي قنصل

بونس ايرس



المدوح السكاف

لو اني عنك معتقلي وسجن من حديد الهم :
— هل زارئك أسراب الطيور القادمة من الجزائر
في صباحات البراءة ، والسفارالحالم النديان
أم عرفت بأنك مثل فارسك المطوح في الصحارى الشهل
تحتبسسين نفسك في شرار البرق واللمع السديميه؟! *

عشقتك خلصي قدمي من الاشواك يا ليلي وضميني
خذي بيدي واحميني
أنا الكهف الذي ما زال لم يشرع على الشمس
فطيري في شراييني
وغلي في مساماتي
تلاقينا على اهد من الترحال مجنون
فسرحني على خديك عطر غامر الهبات
أسلمني الى الهيمنان : صوفيا وصوفيه
فكوني رفة في الجفن
كوني دمعنة في العين ،
أذرفها على نعث الخيالات السرايه
وكوني ناقلة في البيدر تردفني على جمل
العشيات الخرافيه *

أكن عبدا رسوليا
أطيع سماءك الصغرى
أصلي في محاربك
أمني النفس ان أنسى ، اذا ما جرت
بستان الرؤى الخضراء في عينيك والمقل السمايه،
براكيني الجحيمية *

وكلمني عن الوطن
صبي اسمه النهر
دعاني فأسبجيت له واغرقني بأواجه *

باردة خيام الليل ، شاردة خطى البیداء
في البیداء يهمر عاشق المزمارة أغنية تعطرها
مروج الشيخ
صاغ لحونها من نهنيات الوجد
ساهمة نجوم النخل ، والاحزان فارعة
وللى طار معصمها الى المحبوب عتقه بقبلته
الربيعه *

أعري الحلم من ألوانه الميساء في جفني تكسرهما
أعريها كسارية
وافتشح القصائد باسمها ابدا
على المرساة أحملها نشيدا ساحلي الرهو
مزهوا برجع الموج
أمتشق الخصوبة من يباس الارض
تحت حفيف نعلها
أعمدها اذا ما شئت مثل منارة في اليم
أحضنها بلا لين
وأشر فوق نهديها شباك الصيد
أسألها عن اسم كان ،
في قيد النفوس الضائع الاثري يسكنها
فلا تدري
أذكرها بأنني كنت اعشقها زمانا لست احصره
ملايينا من السنوات ، عد الرمل في الصحراء
لا تدري
أقول لها : نسيت الخبز والزيتون ، نهبك حقلنا
البري يا ليلي *

فتلوي من مواجهها
وتسقط في مدامعها النجيمه *

غرقت ، غرقت ما أحلاه من غرق
أنا في الماء منزرع ، جبين خصلة الشفق
وعيناي أخضرار الطحلب الريان
كلمني عن الدار
وعن حراسها الناموا
وكلمني عن الضفة
وعن ديك الصباح وعرفه الدموي
كلمني عن الموت
وكلمني عن المقل الدموعي
هويت وغصت للقناع
وأعشب جوع عينيه

* * *

ومنتهب أنا والسيف ، مختطف دمي شققا
وموجة هي العربات أركبها بلا فرس فلا تجري
ومرتجف من الثلج الذي يهمني على كبدي
ومطلعون بخاصرتي
فآه وآه من جسدي
وآه وآه من طير العبور وخفقة القلب الفراشي

* * *

ولكنني نفخت رماد أيامي :
- أمنتظر وميض الريح في صمت المناهات
ومنتظر سهيل جوادي المقرور
أن يختال في الصحراء
أغنية ترن على وهاد العشب مفعمة سديميه ؟
ومنتظر هطول الحب في قلبي
وقد رثت به الآفات
شاخت بيض أحلامي ؟

* * *

وكاذبة هي الاصوات : ان فروع الشجر
وان دموعي المطر
وان حضوري القمر



وهذا اللون باديتي
وانهاري هي الاشعار
وان اشكو من اللقيا اذا هلت بلا ميعاد
فانت ولادتي الاولى
فرشيني على الانهار زنبقة
على الاشجار هسهة
وكوني مسندي ليلي اذا هجمت خيول النار
وكوني لهفتي ، خبزي ، حدائق رعشتي في الخوف
سلسلتى الجباله

* * *

وصادقة هي الاصوات : ان عبوري الشرر
وان جنوني القدر
وان سمائي السفر
وان الوعد في الشيطان
فمديني الى الشيطان اقفرها على طير المسافات
وارسيني على جبل من الاحزان ، اهدمه
على سد من الطوفان امنعه
على زمن أسمره
وشديني الى النافورة الحمراء اشربها
الى الاسطورة العرقاء ، امحقها
الى البوابة الحذاء ، اهدمها
الى الاشياء اكتبها
وحطيني على مسرى من الرمل
وتحت سلافة الظل
وطيري بي على السفن الشراعيه

* * *

قطاري عائم في النهر ، نهري اسمه الوطن
على تسبيحه أسري وادلج في لياليه
افاوض حزني المخمور يصبح حزني الباسم
وشوك جيبني المصفور يورق سوسنا هائم
وليلي اسمها الوطن
على تسبيحها أسري وادلج في لياليها
اوسدها على مرج من الاسماء عارية
لتصبح من سراب الضوء عارية
أحرق في مفاتها وارتعش
واذهل : يا عطايا الرب في جسد حريري ..
واسألها عن اسم كان يسكنها
وتهتف : اسمي الوطن
وليلي الآن غارقة بأوجاع المخاض الصعب
تهمس في سراييني :
- حبيبي اسمه النهر ..
- ونهري اسمه الوطن

* * *

باردة مرايا الليل ، عاطرة خطى البیداء ،
في البیداء يزفر عاشق المزمارة أغنية من النارج
صاغ لحونها من وشوشات البوح
حارقة هي الاشواق ، والاحزان حارقة
وليلي عاد معصمها الى المحبوب يفديه بقبلته الربيعيه

● مهدوح السكاف - حمص



المقامات في الأدب العربي

يقلم : عبد العزيز الربيع

واختصر باحث آخر الموضوع فقال ان المقامة لغة المجلس والجماعة من الناس ثم الطلعت في عصر بني امية وصدر الدولة العباسية على ما يحكي في المجالس من القصص والسير وكل ما يكسب السامعين علما وادبا ثم شاع استعمالها على ما يقصه الكدية ومن الادباء بلغة عربية صحيحة .

هذا اصل كلمة المقامة ولكن الذي احيا هذه الكلمة وجلها من الكلمات الخالدة في تاريخ الادب العربي هو بديع الزمان الهمداني ولكن الباحثين لا يقفون عند هذا الحد بل يذهبون يتلمسون الجذور الاولى لهذا الفن فيقرر الدكتور زكي مبارك في كتابه النشر الفني ان بديع الزمان ليس منكر فن المقامات وانما ينكره ابن درين المتوفى سنة ٣٢١ نصا طويلا فعلة من كتاب زهر الآداب لابي اسحق المصري ورد فيه (ولما رأى - بديع الزمان - ابا بكر محمد بن الحسين بن دريد الازدي اغرب باربعين حديثا .. عارضها باربعمائة مقامة في الكدية) .

ويعلق زكي مبارك على ذلك فيقول (وقد دهش المسيو وسية حين عرضت عليه هذا النص في باريس وعجب كيف اتفق الناس مع هذا على أن بديع الزمان هو منشئ فن المقامات ثم سألني الايمكن الارتياح في

حديثي عن (المناظرة بين العلم والجهل) اثار في نفسي دوافع للحديث عن المقامات وسبب ذلك ان علاقتي بالمقامات قديمة تعود الى ايام دراستي العالية فقد كلفت باعداد بحث عن المقامات في الادب العربي وقمت باعداده في اكثر من خمسين صفحة . وساعدتني على ذلك طرافة البحث ودقة المراجع وقد كان بحث المقامات من الابحاث التي اعتزبها اعتزازا كبيرا وان كنت لم احتفظ بصورة منه لان استاذنا وعد باعدة الابحاث ثم صرفته صوارف عن الوفاء بوعدته وبذلك ضاع هذا البحث الطريف .

ثم ان الحديث عن المقامات فيه تذكير بلون من تراثنا الادبي الضخم والقاء للضوء على جوانب فيه نجاح الى هذا الضوء لتبيان ما فيها من فن وجمال يرى بعض الباحثين ان اصل المقامة في اللغة كالمقام موضع القيام كمكانه ومكان وقد استعملت في المجلس استهلال الاضداد وانتقلت من هذا المعنى الى الجماعة المجالسية ثم اطلعت المقامة على الحديث الذي يقال في المجلس واخيرا قصر على هذا اللون المردف في الادب

ورأى باحث آخر ان (اصل كلمة مقامة اسم مكان من قام بمعنى اقام والمعنى انها موضع للاقامة ثم انتقل من هذا المعنى الى الكلام الذي يلمنى به مجلس من المجالس فتكون من اطلاق المحل على المحال .)

قيمة كلام الحصري في هذا الموضوع فاجبته بأنه تحدث بأسلوب يدل على أنه كان مفهوما في أوائل القرن الخامس أن بديع الزمان إنما عارض ابن دريد وحاكاه. فارتضى هذا الجواب ثم قال يظهر أنه ضاع علينا من تاريخ الأدب العربي شيئا كثيرا .

ويستطرد زكي مبارك فيقول : (وقد واصلت البحث لأرى مدى هذه الفكرة من مؤيدات القدماء فلم أجد من أفرد بها بجهد خاص وإن كنت رأيت ياقوت الحموي نقل ما كتبه صاحب زهر الآداب حين ترجم لبديع الزمان ونقل ياقوت لهذا النص من غير تعقيب مظهر من مظاهر القبول .

ويواصل الحديث قائلا : (وعندي أن من أسباب غفلة مؤرخي الآداب عن كشف هذا الخطأ أن ابن دريد سمي قصصه أحاديث في حين أن بديع الزمان سمي قصصه مقامات) .

ويظهر أن الدكتور زكي فتن فتونا عجبيا باكتشاف هذا النص فعرضه على الدكتور طه حسين الذي دهش حين أطلعته على ما وصلت إليه في تحرير هذه الفكرة وقال أن ابن دريد كان رجل لغة ورواية ولم يعرف عنه أنه كان كاتباً ممتازاً فكيف أثار بديع الزمان بما ابتكر من الأحاديث ثم عاد فقال أرجع إلى كتاب الإمالي القالي وانظر الأحاديث التي نقلها عن الأعراب فإن رأيته يروي عن ابن دريد - وكان استاذة - فأعلم أن ابن الأربعين حديثاً التي ذكر صاحب زهر الآداب أنه اخترعها لم تكن شيئاً آخر طر هذه القصص التي نقلها القالي في كتابه فلما رجعت إلى كتاب القالي وجدت حقاً أن القصص التي احتواها مروية عن ابن دريد... وأن كان هذا الإيعين أنها نفس القصص التي عارضها بديع الزمان .

وبذل الدكتور زكي مبارك في تأييد فكرته جهوداً كبيرة فيتبع أحاديث ابن دريد فيعثر له على ستين حديثاً يستبعد منها الأحاديث القصيرة فيبقى له من أحاديثه المتشابهة في القدر والوضع والأسلوب قريباً من الأربعين ولا يترك سبيلاً لتأييد رأيه إلا سلكه.

ولا يتسع المجال لاستعراض كل ما كتبه بهذا الصدد ولكن الطريف في الموضوع هو أن كل المؤلفات التي صدرت بعد صدور كتاب الدكتور زكي مبارك - النشر

الفني - نسبت اختراع المقامات إلى ابن دريد الأزدي باعتبار أن ذلك أمر معروف مسلم به ولم يتحدث واحد منها جهود الدكتور زكي ولم يشر إليها من قريب أو بعيد باستثناء باحث واحد هو الدكتور شوقي ضيف الذي حرص الحرص كله على دحض حجج الدكتور زكي مبارك وعلى إنكار هذه القضية جملة وتفصيلاً والغريب أنه أدار بحثه حول حديث الحصري وتجاهل الدكتور زكي مبارك تجاهلاً تاماً ويقول وقد زعم الحصري أن بديع الزمان ألف هذه المقامات معارضة لابن دريد المتوفى سنة ٣٢١. إذ يقول أن البديع (لما رأى أبا بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي أغرب باربعين حديثاً وذكر أنه استنبطها من ينابيع صدره وانتجها من معادن فكره وأبداءها للابصار والبصائر وأهداها إلى الأفكار والضمائر في معارض حديثه والفاظ عنجهية فجاء أكثرها ينبو عن قبول الطباع ولا ترفع له حجة الاسماع... عارضة باربعمئة مقامة في الكدية تدرج صرفاً وتقطر حسناً) .

ويلقى الدكتور شوقي ضيف قائلاً (على أنه ينبغي أن نتلقى كلام الحصري بشيء من الشدة وخاصة وأن أحاديث ابن دريد لم تصلنا كما لاحظ ذلك بروكلمان وزيدنا شكاً واتهاماً أن ما رواه صاحب الإمالي عن ابن دريد كتابه يدل - من بعض الوجوه - على أن أحاديثه كانت تخالف مقامات الهمداني في موضوعها ومن يدري ربما ساق الحصري ماساق عن ابن دريد لبذل على مبلغ تفوق الهمداني على شيخ اللغة الحذوقين وخاصة أنه كان يتعصب لبديع الزمان فهو يوازن بين صنفيهما ليشهد للبديع بتفوقه .

ثم يخلص من مناقشته إلى القول (من أجل ذلك كنا نميل إلى الوقوف مع الحريري إذ يقول في مقدمة مقاماته قد جرى ببعض اندية الأدب الذي ركبت في هذا العصر ريحه وخبت مصابيح ذكر المقامات التي ابتدئها بديع الزمان وعلامة همدان فأشار من أشارته حكم وطاعته غنم إلى أن أنشئ مقامات اتلو فيها تلو البديع) فالحريري رأى أن المقامات من ابتكارات بديع الزمان وحق ما يراه فانه لا يعرف أن أحداً قبل البديع كتب قصصاً في وصف أحوال أصحاب الكدية وأيضاً لا يعرف أن أحداً سمي قصصه باسم المقامات قبله .

والغريب أن الدكتور زكي مبارك يقول عن هذه النقطة وفي رأيي أن الحريري هو الذي أذاع هذا الغلط ثم أن الناس يقدره إذ كان أشهر من أقبل الجمهور عليهم

من كتب المقامات وهو في مقدمة مقاماته ينسب الى بديع الزمان فضل السبق .

ولا يكتفي الدكتور شوقي ضيف بذلك بل يعود لبقول (على كل حال من المبالغة ان يربط باحث بين مقامات البديع وبين احاديث ابن دريد لمحرر نص الحصري) .

ومع حبي للدكتور زكي واعتزازي باستاذيته وتقديرى للروابط التي كانت تربطني به فاني ارى ان الحق مع الدكتور شوقي ضيف ويستطيع ان يلمس ذلك من يقرأ الفصلين اللذين كتبهما الدكتور زكي نفسه في النثر الفني عن مقامات بديع الزمان واحاديث ابن دريد وان كانت من الامور التي تستلفت النظر ان الغالبية العظمى من المؤلفين تابعت الدكتور زكي على رايه في ان البديع قد تأثر بابن دريد . ولم يشذ كما رأينا الا الدكتور شوقي ضيف . كما ان من الامور العجيبة ان يجمع المؤيدون والمخالفون على تجاهل الدكتور زكي وتناسى فضله مع ان ما كتبه الدكتور زكي عن بديع الزمان والمقامات يعتبر اوسع ما كتب حول هذا الموضوع وهكذا فان الناس يحرصون على غمط الاشخاص الذين يحاولون ان يظهروا انفسهم وان يشهروا شخصياتهم معتمدين على اساليب لاتستسيغها الجماهير .

رحم الله استاذنا فلقد اضاف الى تراث امتنا الخالد مجموعة من الجهود الضخمة والاراء المبتكرة والبحوث القيمة ولقد ملأ الدنيا وشغل الناس في حياته بكتاباته النقدية التي كانت تثير العواصف والزوابع في دنيا الادب فيجدد الكتاب وينشط القراء ويرقي الفكر وتزدهر الثقافة . ولكنه رحمه الله كون مجموعة ضخمة من الاعداء والحاquدين غرس في قلوبهم النقرة عليه فتآمروا على تحطيمه وتواطؤوا على الحط من شأنه وكانوا كلهم من كبار الرجال الذين يملكون الجاه والمركز والنفوذ والكلمة المسموعة . وماذا لديه في حياته حتى أصبح منبوذا وغدا يعمل بالاجر اليومي كالعامل والاجير وقضى سنواته الاخيرة يتجرع الفصص ويشرب كؤوس الالم والندم . حتى سقط على رصيف في شارع عماد الدين فشج رأسه وفارق الحياة ومكائد الاحياء . وقد تأثر أدبه بهذه الحرب فاخفت كتبه عن الانظار وضاع صوته بين ضجيج المعركة . ولكن التاريخ لن ينسى ولدبه يذيب الحسد

وتموت العداوة وتختفي المطامع سيعود ادب زكي مبارك ليحتل مكانه اللائق .

ونعود الى قضية ابن دريد وبديع الزمان لنضيف رايًا جديدًا لعله يفسر سر حماسة الدكتور زكي مبارك لرايه حول تأثر بديع الزمان بابن دريد .

يخيل الي ان اكتشاف النص في زهر الاداب ليس هو السبب الجوهرى لاندفاع الدكتور زكي في تأييد فكرة التأثر فهناك سبب آخر هو تحمس زكي المياريك للعربية تحمسا قد يدفعه الى التعصب لكل ما هو عربي جذما وارومة وابن دريد عربي صافي النسب من ازد عمان من قحطان فهل حرص الدكتور زكي على ان تنسب اولية فن المقامات الى عربي واضح العروبة بدلا من ان يذهب بالفخر كله اديب تجري في دمائه عروق قادية لبديع الزمان .

على ان من المؤكد ان الدكتور زكي لا يود ان يعرف عنه هذا الاتجاه لما فيه من اتهام بالعصبية وضيق الافق . ولكن المتبع لكتابات الدكتور زكي سيلحظ هذه الفكرة التي نتحدث عنها . ومن مفاخر الدكتور زكي حبه لعروبه ودفاعه عن العربية وتبنيه فكرة نشر اللغة العربية في كل المجالات وقد بذل جهودا مشكورة مقدورة في تعريب الطب وفي جعل اللغة العربية اللغة الاساسية في كليات الطب .

قلت فيما سبق ان مؤرخي الادب ينقسمون فيما يختص بأولية المقامات الى فريقين : فريق يرى ان بديع الزمان الهمذانى هو المبتكر الاول للمقامات ، ويضم هذا الفريق المستشرقين وعددا كبيرا من المؤرخين العرب وفريق يرى ان واضع الاسس الاولى هو ابن دريد العالم اللغوي المشهور ويتزعم هذا الفريق الدكتور زكي مبارك وكثير من مؤرخي الادب المعاصرين .

وهناك فريق ثالث يرى ان الفضل الاول في ابتكار المقامات لا يعود الى ابن دريد ولا الى بديع الزمان وانما يعود الفضل الى ابن فارس ويختص بهذا الراي العلامة جرجي زيدان ولم ار احدا من المؤرخين السابقين او اللاحقين يؤيد هذا الراي من قريب او بعيد فهو راى اختص به جرجي زيدان حيث يقول وهو يحصي مؤلفات بديع الزمان (مقامات تعرف باسمه وهي اقدم كتاب وصل اليها في هذا الفن من فنون

بقوله : وذلك أيضا قر بـ من الالفاز وقد ألف فيه ابن فارس تأليفا لطيفا في كراسة سماه بهذا الاسم رأيته قديما وهو ليس عندي الآن فتذكر ما وقع من ذلك في مقامات الحريري ثم أن ظفرت بكتاب ابن فارس المفتي ما فيه . ثم ينقل السيوطي المقامة الثانية والثلاثين من مقامات الحريري .

ونلاحظ أن كل النصوص التي أوردناها وهي كل ما أمكن العثور عليه في المراجع الأساسية لهذا الموضوع كلها تشير إلى أن الحريري استفاد من كتاب (المسائل أو فتيا فقه الرب) في أعداد مقاماته (الطيبة) وقد ذكر ذلك صراحة صاحب وفيات الأعيان فقال بوضوح (ومنه اقتبس الحريري صاحب المقامات ذلك الأسلوب) أما بروكلمان فمع أنه استفاد معلوماته من نص السيوطي وهو نص لا يؤكد بوضوح أخذ الحريري عن ابن فارس فإنه يؤكد هو الآخر أن الحريري اقتبس مادة المقامة الثانية والثلاثين من كتاب المسائل أو فتيا فقه العرب .

ونعود بعدها إلى جرجي زيدان وإلى ما قرره من أن بديع الزمان اقتبس من المقامات من استاذ ابن فارس اللغوي وللأخير (فضل التقدم في وضع المقامات) لأنه كتب رسائل اقتبس العلماء منها نسقه وعليه اشتغل بديع الزمان الهمداني (كما يقول جرجي زيدان نعود إلى هذه القضية فنجد أن النصوص لا تؤيد إطلاقا دعوى جرجي زيدان فكل ما يستفاد من النصوص هو أن الحريري - وليس بديع الزمان - اقتبس المعلومات الفقهية التي أوردها ابن فارس في صياغة مقامته (الطيبة) .

يبقى بعد ذلك موضوع الرسائل التي يشير إليها جرجي زيدان . وليس لابن فارس رسائل مطبوعة في كتاب مستقل وإنما توجد رسالة واحدة أوردها صاحب قيمة الدهر وأوردها صاحب معجم الأدباء . وفقهنا ناشر كتاب الصحابي لابن فارس في مقدمته التي كتبها للكتاب وموضوع هذه الرسالة (في المفاضلة بين شعراء الجاهلية والمولدين) . وقد قرأت هذه الرسالة بتدقيق وامعان فأعجبني فيها سعة أفق ابن فارس وتحرره مما قد يلتزمه غيره من علماء اللغة حيث يتصدرون للقديم ويحاربون كل جديد . كما أعجبني أسلوبه الرائع وطريقته البديعة ورقة طبعه ونفاذ فكره وقدرته الفائقة على التمييز والنقد .

اللغة وهو أول من وفاه حقه وجعله علما وقد اقتبس نسقه من استاذ ابن فارس اللغوي (ذكره) . وقد رجعنا إلى ترجمته عند جرجي زيدان فوجدناه يؤكد ما ذكره عن فضل ابن فارس في وضع المقامات يقول عن ابن فارس (هو أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا بن حمد بن حبيب الرازي كان أستاذا في علوم شتى وخصوصا اللغة وله فضل التقدم في وضع المقامات لأنه كتب رسائل اقتبس العلماء منها نسقه وعليه اشتغل بديع الزمان الهمداني كما تقدم وتبعه عليه صاحب ابن عباد وكان أستاذ عصره .

وقد حاولت أن اهتدي إلى المصدر الذي استقى منه جرجي زيدان هذه الفكرة إذ كنت استبعد أن يكون قد وصل إليها نتيجة بحث مستقل أو دراسة خاصة فهو مؤرخ أكثر منه باحثا ومن أجل الوصول إلى ذلك اضطررت أن أرجع إلى طائفة من المصادر أشار هو إلى بعضها ولم يشر إلى البعض الآخر . وبعد جهد طويل عثرت على نصين ورد أحدهما في وفيات الأعيان لابن خلكان وورد الثاني في تاريخ الأدب العربي لكارل بروكلمان .

أما النص الوارد في وفيات الأعيان فيقول (أبو الحسن بن أحمد فارس بن زكريا بن محمد حبيب الرازي اللغوي كان أستاذا في علوم شتى خصوصا اللغة فإنه اتقنها وألف كتابه (المجمل) في اللغة وهو على اختصاره جمع شيئا كثيرا وله كتاب حلبة الفقراء وله رسائل انيقة ومسائل في اللغة وتعالى بها الفقهاء ومنه اقتبس الحريري صاحب المقامات الآتي ذكره أن شاء الله تعالى ذلك الأسلوب ووضع المسائل الفقهية في المقامات الطيبة وهي مائة مسألة وكان مقيما بهمدان وعليه اشتغل بديع الزمان الهمداني صاحب المقامات) .

أما النص الثاني فيقول في استعراض كتب ابن فارس (١٦ - كتاب المسائل أو فتيا فقه العرب ومن هذا الكتاب اقتبس الحريري مادة المقامة الثامنة والثلاثين) .

ويبدو أن بروكلمان استقى المعلومات التي ذكرت في النص الذي أوردناه عن السيوطي في كتابه (المزهر في علوم اللغة وأنواعها) فقد عقد السيوطي فصلا سماه (الفصل الثالث في فتيا فقه العرب) وصوره

اسحاق المصري في زهر الآداب ويذهب باحث آخر هو الدكتور زكي مبارك إلى أن عددها خمسون فقط وحجته أن بديع الزمان عارض الأحاديث الأربعين لابن دريد والمعارضات - كما يقول زكي مبارك - كانت تتقارب في الكمية .

والحجة الأخرى فهي لأن مقامات البديع لم يحفظ منها غير خمسين ويستبعد الدكتور زكي أن يضع من آثاره خمسون وثلاثمائة مقامة مع أن آثاره لم يضع منها الا القليل .

أما الحجة الثالثة فهي أن الحريري في معارضته لبديع الزمان لم يتسنى غير خمسين مقامة (ثم صار عدد الخمسين هو الرقم المتبع فيما كتب في هذا النوع من الإقاصيص) .

ونحن نميل إلى رأي الدكتور زكي وتضيف إلى الحجتين الأخيرتين - وهما الحجتان الجديدتان بالاعتبار - حجة أخرى وهي أن الإعجاب الكبير الذي قوبلت به مقامات البديع حين ظهورها دفع الناس إلى تسجيل هذه المقامات وحفظها وهذه العناية كان يجب أن تحرس هذه المقامات وأن تحول دون ضياعها .

المقامات وأثرها

فتن الناس فتونا عجيبا بمقامات بديع الزمان وزاد من افتتانهم ظهور مقامات الحريري فتلقاها الأدباء بالقبول وأصبحت نموذجا يحتذى به والغريب أن البديع استطاع أن يسيطر على الأدباء أكثر من تسعة قرون فقد التزموا الأسس التي وضعها البديع كال التزام السجع والاقتصار على بطل واحد .

وقد وجه الباحثون نقدا شديدا إلى كتاب المقامات وخاصة بديع الزمان ، أما أنا فلا أرى موجبا لتوجيه أي نقد لبديع الزمان فحسب أنه ابتكر هذا اللون من الفنون الأدبية دون سابق مثال . وكان المفروض أن يدخل الأدباء بعده عليها إلوانا من التحسين والتطوير حتى تصل إلى مستوى القصة الحديثة ولكن شخصية البديع استطاعت أن تسيطر على الأدباء بعده وأن تحول بينهم وبين أن ينقلوا من القيود التي وضعها يرسخون فيها دون أن يبذلوا أي محاولات جادة للخلاص منها .

ولكنني اطلت التأمل في الرسالة مرة أخرى على أعثر فيها على ما قد يؤدي وجهة نظر العلامة جرجي زيدان من أن ابن فارس يستأثر بفضل ابتكار المقامات وأن الهمداني تابع له متأثر به فلم أعثر على شيء يمكن الاعتماد عليه . فأبى فارس يفاضل بين الشعر القديم والشعر الحديث ويناقش القضية مناقشة تدل على فهمه وتمكنه ويخرج من هذه المناقشة بالنتيجة التي يريد وهي أن للشعر الحديث مزاياه وأنه من الظلم أن يهمله الرواة والنقاد .

هذا هو مضمون الرسالة فليس فيها أي علاقة في الأسلوب أو الطريقة بينها وبين المقامات بصورتها المعروفة الا اذا كان العلامة جرجي زيدان قد لاحظ أن بديع الزمان قد تعرض في بعض مقاماته لبعض القضايا الشعرية ؟ واذا صح ذلك فإن العلاقة تظل ضعيفة ومتهاففة .

ويغلب على ظني أن جرجي زيدان قد أساء فهم القصص الواردة وتصور القصة على غير صورتها الحقيقية فالقصص تشير إلى أن الحريري استفاد من بعض كتب ابن فارس في صياغة إحدى مقاماته . فسبق إلى وهم جرجي زيدان أنه ما دام الحريري قد استفاد من ابن فارس والحريري مقلد لبديع الزمان وهذا الأخير تلميذ لابن فارس فيصبح الهمداني مستفيدا من ابن فارس ومقلدا له وخاصة وأن صاحب وفيات الأعيان قد أضاف جملة قد تزيد هذا الفهم وهي قوله (وكان - ابن فارس - مقيما بهمدان وعليه اشتغل بديع الزمان الهمداني صاحب المقامات) .

وإن كان من المؤكد أن صاحب وفيات الأعيان لا يقصد هذا المعنى الذي فهمه جرجي زيدان فكل ما يريده صاحب الوفيات هو أن يقول أن ابن فارس كان مقيما بهمدان وأنهم كان استاذا للبديع الهمداني وكلمة (اشتغل) تعني درس وأخذ وتلقى علومه ولا تعني إطلاقا هذا المعنى الذي وصل إليه جرجي زيدان .

عدد المقامات :

يختلف الباحثون في عدد المقامات فيذهب أكثرهم إلى أن عددها أربعمائة مقامة وججتهم ما ذكره أبو

مكتبة المقامات :

لقد جن الكتاب والمتأدبون بهذا اللون جنونا عجيبا كما سبق ان قلناه لو جمعنا كل المقامات التي كتبت على توالي العصور مع شروحها والتعليقات عليها لوجدنا مكتبة كاملة وهل يريد صديقنا الكاتب نجاحا افضل من هذا النجاح ؟

واذا كان يقصد بعدم النجاح قضية (المضمون) وكيف ان المقامات لم تكن (تعد بصدق عن التأثيرات الانفعالية بواقع المجتمع وأحداثه) فان ذلك يقودنا الى مناقشة قضية ادبية اخرى هل الادب هو الفن وعلاقته بالمجتمع وبعبارة اخرى : هل الفن للغة أم الفن للحياة ؟ واذا كان الصديق الاستاذ يؤمن بقضية الفن للحياة كما يظهر من كلامه الذي تعلمناه آنفا فهل نستطيع ان نعرف رايه فيما حفلت به الآداب العالمية ومنها الادب العربي من الوان ادبية كثيرة لاعلاقة لها بالمجتمع فهل يعتبر هذه الالوان خارجة عن نطاق الادب . ولو حاولنا التخلص من هذه الالوان بانزاعها من الآداب العالمية فكم يا ترى ستستمر هذه الآداب ؟ وكم يا ترى سيبقى من قيمتها بعد فقدان هذه الاجزاء الهامة ؟

وانا لا اريد ان اوسع دائرة البحث حول هذا الموضوع ولذلك فسأكتفي بمناقشة الاديب الصديق في نقطة تتصل بأدبه . فقد قرأت في كتابه القيم (شعراء غير المعاصرون) طائفة من قصائده ولاحظت ان قسما من هذه القصائد يخرج عن دائرة الادب للمجتمع فهي قصائد غريبة وما الذي سيكسبه المجتمع من شاعر يتغزل في محبوبته وأي نفع سيعود عليه .

اظن ان صديقي الكاتب الشاعر من المؤمنين بنظرية الفن للفن فاذا كان هذا الافتراض صحيحا فاني استطيع ان اقول على هذا الاساس ان المقامات لسون

وكان المظنون ان المقامات التي كتبت بعد البديع محدودة العدد ولكن ظهر بعد البحث ان المقامات التي كتبت منذ عصر البديع الى الآن تكون مع شروحها والتعليقات عليها وما كتب حولها تكون مكتبة كاملة . وقد راعني وانا استعرض بعض كتب التراجم ما لاحظته من ان كثيرا من المؤلفين عنوا عناية فائقة بهذا اللون الادبي فألفوا الكثير من المقامات .

ومما يذكر في هذا المقام ان كلمة المقامات ظلت من الكلمات الخالدة في تاريخ الادب وظلت مستعملة استعمالا قويا منذ عصر البديع حتى ايامنا هذه .

ويخطر ببالي بهذه المناسبة ان كاتبنا معاصرا كتب كتابا سماه (المقامات) وقد كتب عنه صديقنا الاديب الباحث كلمة في العدد (١٣٦٢) الصادر في ١٣٩٣-٣-٤ هـ جاء فيها :

اقول الحق انني قرأت الكتاب من عنوانه لم اجد في نفسي - بادى الامر - الباعث القوي على قراءته القراءة الجادة . وذلك فيما اعتقدنا شيء من رد الفعل المترسب في مقالي الباطن عن كل تمط قديم غير ناجح في ميدانه وكل نتاج جديد جاء تقليدا عاريا من التجديد الا ان الشيء الذي استهواني لقراءة هذا الكتاب انه نمط جديد في المقامات التي نضت عنها اسمال التقليد أو كادت وجعلت المضمون شيئا يعبر بصدق عن التأثيرات الانفعالية بواقع المجتمع وأحداثه الحياتية في أنماطها المختلفة المتباينة ..

وليسمح لنا الصديق الباحث ان ندخل معه في مناقشة هادئة حول هذا الموضوع فهل كانت المقامات تمطا قديما غير ناجح في ميدانه ؟

كثير من الناس انها الاعيب لفظية ليس فيها من المكان ما يستحق الدرس ولكننا بعد مواجهتها مرة ومرة رأينا فيها من امارات العقل والذكاء وخفة الروح ما يوجب الاعجاب وكنا نحفظها في الحداثة غير انا لم نكن ندرك خطرهما كما تمثلت لنا في هذه الايام .

في تلك المقامات بعض العيوب ولكن اي عمل سلم سلامة مطلقة من العيوب ونؤكد للقارئ اننا لم نكتشف من محاسنها الا القليل فليعد اليها يطالعها في فهم وروية وليتأمل بصفة خاصة قرار الالفاظ والتراكيب وصوغ الامثال .

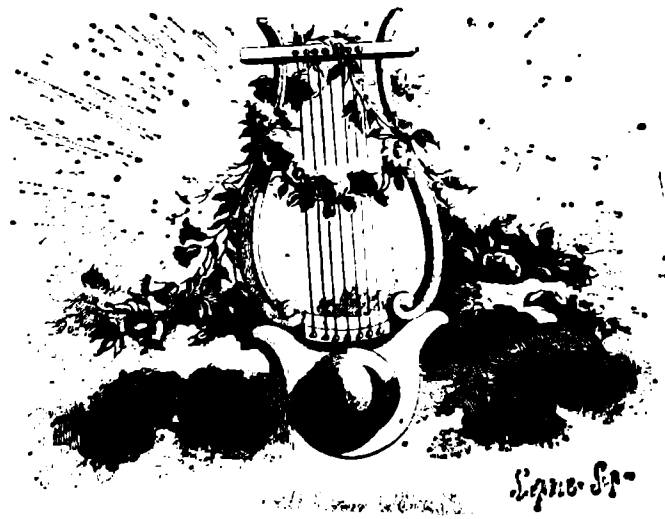
وسيرى القارئ في الجزء الثاني لمحات من سيرة بديع الزمان وتحليل رسائله ولكن ذلك لا يعني عن العودة الى مقارنة المقامات بالرسائل واستخلاص صور الحياة الاجتماعية لذلك العهد من آثار ذلك الكاتب النجاشي () .

عبد العزيز الربيع

ادبي فيه فن وفيه متعة ذوقية وعقلية وان من الظلم ان نحرم ناشئتنا من ذخائر ادبية لها وزنها وقيمتها . ونعود مرة أخرى نتساءل : وهل خلت المقامات من أي مضمون اجتماعي ؟

ونستطيع أن نجيب بأن المقامات لم تخل من ذلك ولكن المشكلة هي ان هذه المقامات لم تدرس الدراسة الوافية . ولم أجد احدا من الباحثين عرض لهذه المقامات بالدرس والتحليل وربما كان الدكتور زكي مبارك هو الباحث الوحيد الذي اولى مقامات البديع الهمداني شيئا من عنايته . ونقول (شيئا) لانه لم يدرسها دراسة وافية وقد اوضح ذلك بصراحة في كتابه (النثر الفني في القرن الرابع الهجري) حيث يقول :

(وخلاصة القول أن مقامات بديع الزمان تحفة من تحف النثر الفني في القرن الرابع وقد أردنا ان نطيل بها التطواف ليتعرف اليها القارئ فقد كان مفهومنا عند



حركة النشر في نادي الرياض الأدبي

بقلم : سمروحيه الفصيل

ان تقييم اية تجربة في حقل الثقافة والادب لا يكفي فيه التعداد الاحصائي لمنشورات الاديب او المؤسسة الناشرة ، بل لا بد من قراءة النصوص قبل المباشرة باطلاق احكام القيمة .

وفي حالة النادي الادبي بالرياض لم يكن كافيا ان يضع الاستاذ مدحة عكاش بين يدي ثلاثين كتابا ليكون ذلك تعبيرا عن ان حركة النشر ناشطة في النادي ، وان اسهامه في الحقل الثقافي العربي يستحق التقدير والاشادة . ان القيمة الحقيقية للنادي الادبي كامنة في جودة الكتب المنشورة وليس في عددها . وانا اتحدث - بالطبع - عن حركة النشر ، وليس عن الحركة الثقافية . فهذه اوسع واكثر شمولاً تدخل فيها المواسم الثقافية والمحاضرات والندوات ، وما الى ذلك . اما حركة النشر فخاصة بالكتاب وحده .

اخلص الى القول ان النادي الادبي بالرياض يقوم - راس كل شهر - بنشر كتاب واحد ، ولذا سميت سلسلة منشورات النادي باسم « كتاب الشهر » ، واعطي لكل كتاب رقم . وهذه هي الكتب مع ارقامها وأسماء مؤلفيها :

- ١ - الحصريات (دراسة) محمد بن سعد الشويعر
- ٢ - موت على الماء (قصص) عبد العزيز متهري

- ٣ - صور عربية من اسبانية (رحلات) عبد الله محمد الشهيل
- ٤ - ابن طباطبة الناقد (دراسة) محمد عبد الرحمن الربيع
- ٥ - بلادنا والزيت (مقالات) عبد الله بن محمد ابن خميس
- ٦ - الشعر في ظلال حركة الامام محمد بن عبد الوهاب (دراسة) عبد الله الحامد
- ٧ - امرأة تعبر تفكري (قصص) سليمان الحماد
- ٨ - رسالة الالوان (تراث) ابن حزم الاندلسي
- ٩ - صلاح الدين في الشعر المعاصر (دراسة) صالح جواد الطعمة
- ١٠ - نداء السحر (شعر) محمد السليمان الشبل
- ١١ - العقوبات الشرعية (دراسة) محمد ابراهيم الهويش
- ١٢ - ثقافة المسلم (دراسة) عبد الحليم ويس
- ١٣ - من مقالات حسين سرحان (مقالات)
- ١٤ - صراع مع النفس (شعر) عبد الرحمن صالح العشماوي
- ١٥ - الحروب الصليبية واثرها في الشعر العربي (دراسة) محمد عبد الله الهرقي

لدى التدقيق في كتب الدراسات يلاحظ المرء تفاوتاً في الاهتمام بالموضوعات يفسره الجدول التالي :

١ - الدراسات الادبية الخاصة بموضوعات تراثية : ثمانية كتب .

٢ - دراسات نقد الادب : كتابان

٣ - الدراسات الدينية : كتابان

٤ - الدراسات الطبية : كتاب واحد .

يشير الجدول السابق الى ان الاهتمام الفكري للقائمين على النادي الادبي بالرياض منصب على الدراسات الادبية المتعلقة بموضوعات تراثية . وهذا ينعكس - في الوقت نفسه - طبيعة الدارسين الذين ألفوا الكتب المذكورة ، وكثرتهم في المملكة العربية السعودية . واذا كان المنحى الفكري لسلسلة كتاب الشهر ما زال يعلي من الماضي فان هذا الامر لا يعد شيئاً ايجابياً او سلبياً ، لان مدار الأهمية حول طبيعة الدراسات : وما تقدمه من عون للدارسين والقراء ، وما تضيفه الى وعي الحاضر من امور لها امتداداتها في الماضي العربي . وهنا يلاحظ المرء ان هذه الدراسات ليست كلاسيكية ، بل جديدة في موضوعها وفي تعاملها مع التراث الادبي العربي . فكتاب ابن طباطبا الناقد ، اول بحث يؤلف عن هذا الناقد العربي المشهور جداً من خلال كتابه « عيار الشعر » . وعلى الرغم من ان الدراسة جزء من كتاب اشد عمقا واتساعا عن الناقد نفسه ، الا ان صورتها الموجودة في الكتاب الشهري رقم ٤ كافية لتقديم اطار عام لاسهام ابن طباطبا في حقل النقد . ولا يخفى على احد ان كتاب « صلاح الدين في الشعر العربي المعاصر » للدكتور صالح جواد الطعنة يلتفت الى تأثير صلاح الدين في الشعراء العرب ، وهذا امر لم تشهده الدراسات الادبية الا على نحو جزئي . وهذا الكتاب شبيه بالكتاب رقم ١٥ ، المعنون بالحروب الصليبية وأثرها في الشعر العربي لمحمد بن سعد بن حسين . وليس الغرض هنا ان نطلع على موضوعات كل كتاب على حده ، لاننا سنقوم بذلك في نهاية البحث ولكن الغرض هو التذليل على المسارب التي تسير فيها حركة النشر في النادي الادبي بالرياض .

وقد لاحظنا شيئاً من الجدة في كتاب الدراسات الادبية ، ويمكننا ملاحظة الامر نفسه في كتب الدراسات التراثية . فرسالة الالوان لابن حزم الأندلسي المنشورة في الكتاب رقم ٨ ليست مجرد تحقيق لرهبالة تراثية

١٦ - المعارضات في الشعر العربي (دراسة) محمد ابن سعد بن حسين

١٧ - الروض الملتهب (شعر) احمد سالم باعطب

١٨ - مطلات على الداخل (قصص) علوي طه الصافي

١٩ - موجز تاريخ الطب (دراسة) يوسف عبد الله الحميدان

٢٠ - نقد الرواية من وجهة نظر الدراسات اللغوية الحديثة (دراسة) نيلة ابراهيم سالم

٢١ - ذكريات باريس (رحلات) عبد الكريم الجهمان

٢٢ - ذكريات واصداء (شعر) وليد قصاب

٢٣ - المرصاد (نقد أدبي) ابراهيم هاشم فلالي

٢٤ - الشريف المرتضى (دراسة) محمد ابراهيم المطرودي

٢٥ - المبالغة في الشعر العباسي (دراسة) عبد العزيز الشبيلي

٢٦ - رسائل ابن كمال باشا (تراث) ناصر اسعد الرشيد

هذه الكتب كما هو واضح ، تضم تفوقاً ملحوظاً لكتب الدراسات على الاجناس الادبية الاخرى :

١ - الدراسات : ثلاثة عشر كتاباً

٢ - الشعر : اربعة كتب

٣ - القصص : ثلاثة كتب

٤ - التراث : كتابان

المقالات : كتابان

الرحلات : كتابان

ان طغيان الاهتمام بالدراسات على الانواع الاخرى يشير الى رغبة القائمين على النادي الادبي في ترسيخ جذور سلسلة « كتاب الشهر » عن طريق الاهتمام بأكثر انواع الكتب رواجاً وصعوبة وبقاء على الزمن ، اعني كتب الدراسات . صحيح ان المرتبة الرابعة تضم عدداً واحداً من الكتب للانواع الثلاثة التالية : التراث - المقالات - الرحلات ، ولكن هذه المرتبة لا تختلف اختلافاً احصائياً له دلالة عن المرتبتين الثانية والثالثة .

الشهر دوما ، ورديفتها السلسلة السنوية التي وقعنا فيها على رواية حامد دمنهوري « ثمن التضحية » وهي تمثل بدايات الفن الروائي الجيد في السعودية .

وفيما يلي استعراض لموضوعات كل كتاب على حدة:

حركة التأليف والنشر

في المملكة العربية السعودية

ليس هناك شك في ان لغة الارقام ذات دلالات بالغة تفوق دلالات الكلمة مهما تكن منتقاة معبرة . واذا كانت الارقام خاصة بعمل احصائي بيلوغرافي يتتبع حركة التأليف والنشر في قطر عربي ما ، فان الدلالة ابلغ وادعى للتأمل . ذلك ان العمل البيلوغرافي يسمح لنا بتقويم الحصيلة الفكرية العامة ، ويضعنا امام نتائج العمل الثقافي الماضي . ويوضح لنا الثغرات والطفرات والزوائد .

لهذه الاسباب قرأت كتاب « حركة التأليف والنشر في المملكة العربية السعودية » الصادر عن النادي الادبي بالرياض عام ١٩٧٩ لمؤلفه يحيى ساعاتي ، باهتمام كبير فهو فرصة نادرة للتعرف الى حركة الكتاب في السعودية ، وهي حركة تجهل مسارها واتجاهاتها كما نجهلها في قطرنا العربي السوري تماما لخلو مكتبتنا من كتاب مماثل .

كتاب الاستاذ ساعاتي في ٢٦٠ صفحة من القنطع الكبير ، وهو دراسة موضوعية للكتاب العربي السعودي المطبوع داخل المملكة وخارجها . وقد تم تقسيم هذا الدراسة الى قسمين :

الاول : يضم بيلوغرافية للكتب مرتبة حسب الموضوعات ، بحيث لجأ المؤلف الى التسجيل الالفبائي لرؤوس الموضوعات . وقد ضم هذا القسم اثنين وثمانين ومائتي موضوع ، شملت فنون المعرفة التي صدرت فيها الكتب .

الثاني : يضم دراسة تحليلية للثبت البيلوغرافي المنشور في القسم الاول وهي في اثنتي عشرة صفحة . كما يضم هذا القسم ثمانية جداول تختصر الثبت المذكور في ارقام ، وتأخذ على عاتقها نسبة ما نشر الى

وانما هي بعث جديد لرسالة مفقودة يعتقد ان ابن حزم نشرها في كتابه « الفصل » . وقد راح المحققون يستلون الرسالة من مخطوطة كتاب « الفصل » المحفوظة في المكتبة السليمانية باستانبول ، ويعتمدون على الكتاب في شكله المطبوع في بيروت ، وفي القاهرة . ليس هذا وحسب ، بل ان رسالة الالوان تمثل ظاهرة جيدة في تحقيق التراث ، اذ قام عليها ثلاثة محققين اختص اثنان منهم بموضوع الرسالة العلمي . وقد نتج عن ذلك ان تتبع المحققون آراء ابن حزم في الالوان ، ولخاصة السواد ، وراحوا يقارنونها بمعطيات العلوم الحديثة في الموضوع نفسه . . . ليس هذا ما نطمح اليه في تحقيق تراثنا الادبي والعلمي ؟ . .

وهذا لا يعني ان كتب الدراسات على سوية واحدة من الجودة . ففيها الجيد والمتوسط والضعيف . ولا يعني - ايضا - ان الكتب الاخرى غير الدراسية ليست هامة ، ففي بعضها من الجودة والجرأة والدقة في معالجة المشكلات الوطنية ما يجعل المرء يقف مشدوها امام المعطيات العامة للكتاب . ويكفي ان اذكر الكتاب الهام « بلادنا والزيت » بما تحمله مقالاته - وهي لمجموعة كبيرة من المؤلفين - من معالجة للمجتمع السعودي قبل ظهور النفط وبعده . يبدأ الامر بتدفق الاموال في تأثيره الايجابي ، وينتهي بتدفق الاموال في آثاره السلبية . وما بينهما يقرأ المرء عن الصناعات المحلية التي انقرضت ، وعن الاهتمام بالزراعة الذي اخذ يتلاشى ، وعن الشخصية السعودية في بعض ممثليها الذين أثر المال فيهم فانطلقوا او احجموا وهكذا . .

ان المصادفة - هي حيلة دون شك - هي التي دفعت الي الكتب الصادرة حتى الآن من سلسلة كتاب الشهر . وكنت حريصا على قراءة الكتب واعادتها الى صاحبها الشاعر مدحة عكاش وفي النفس شيء غير قليل من الاسى مبعثه ان النادي الادبي بالرياض يصدر كتباً لا نعلم عنها شيئاً الا عن طريق المصادفات على الرغم من اهميتها النوعية للمعنيين بالدراسات وقد قدر لي ان اكون واحدا منهم . وهذا يعني - كما هو واضح - ان حركة نشر الكتاب في المملكة - شأنها في ذلك شأن منشورات الاقطار العربية الاخرى - حبيسة القطر الذي تنشر فيه ، مما يدعو الى مزيد من الاسى .

ونحن لا نطالب بحل خيالي لهذه المشكلة العربية ، ولكننا نأمل ان تسعفنا المصادفات فنلتقي سلسلة كتاب

دار النشر ، سواء اكانت رسمية أم خاصة . علمية أم ادبية متخصصة أم غير متخصصة . كما يضم هذا القسم كشافين ، الاول للمؤلفين والثاني لعنوانات الكتب . اما الاول فقد رتب الاسماء فيه بحسب الاسم الثاني للمؤلف . واما الثاني فقد رتب الكتب فيه بحسب الترتيب الالفبائي للحرف الاول من عنوان الكتاب .

الحقيقة ان الوصف العام المذكور سابقا لايعطي فكرة دقيقة عن عمل المؤلف ، ومن الخير تسجيل ملاحظاته التحليلية الواردة في دراسته ، قبل الانصراف الى ملاحظات المرء الخاصة .

يرى المؤلف ان الموضوعات ذات الطابع الانساني تتفوق كثيرا على الموضوعات الاخرى . وبالذات ما يتعلق منها بالادب والدين والتاريخ والعلوم الاجتماعية . ويلاحظ ان وفرة النتاج الابداعي لم ترافقها جهود في الدراسات النقدية ، على الرغم من وجود ست جامعات ، وخمسة اندية ادبية ، وجمعية للثقافة والفنون ، ومجلس اعلى لرعاية الفنون والآداب كما يشير الى ضالة كتب الفنون الجميلة ، والكتب الخاصة بالعلوم البحتة والتطبيقية ، وخلو الثبوت الببليوغرافي من الكتب العلمية الابتكارية ، وتأخر الترجمة ، وضعف الاهتمام بالتراث وكتب الاطفال .

لا يشك المرء في جهد المؤلف ، وفي حرصه على التوثيق في عمله تسجيلا وتحليلا ، لان مثل هذا العمل يحتاج الى مؤسسات عامة وافراد متخصصين وقد قام به وحده ، مما يدعو الى شكره والثناء عليه الا ان تبادل الراي ينفع في استكمال جوانب العمل وقد لاحظ المرء تعددا كبيرا للموضوعات دون حاجة الى ذلك . وقد سبب ذلك تكرار الجزئيات التي تدخل تحت عنوان - او موضوع - واحد ، وتسجيل موضوعات ليست لها علامة بالتقسيم المتعارف عليه في العمل الببليوغرافي . فالعنوان الخاص بعلم من الاعلام يندرج تحت موضوع - التراجم - اذا كان الكتاب ترجمة للعلم ، او تحت موضوع - الدراسات الادبية - اذا كان دراسة لادب هذا العلم ، ولكنه لا يدخل في حال من الاحوال - تحت عنوان خاص باسمه . والى القارئ امثلة محددة عن هذه الملاحظة : هناك موضوع خاص بـ ابو حديد ، محمد فريد وآخر هو « الخلاوي ، راشد » ، وثالث « خولة بنت الازور » ورابع « ابو دلف الخزرجي » ، وخامس

« شحاتة ، حمزة » هذه الموضوعات الخمس مستقلة بنفسها . والواجب يدعو لان تندرج تحت موضوع « التراجم » او « الدراسات الادبية » فكتاب محمد فريد ابو حديد ، كتاب الرواية ، يشير الى انه دراسة ادبية ، شأنه في ذلك شأن كتاب « راشد الخلاوي : حياته - شعره - حكمه .. » .

ثم ان الموضوع الواحد مقسم الى عديد من الموضوعات كالموضوع الخاص بعلم المكتبات . فهناك الموضوع العام ، وهناك موضوع خاص بالدولة ، وآخر خاص بالفهارس ، وثالث خاص بالمباني ، ورابع خاص بالمصطلحات ، في حين يكفي في التعرف الببليوغرافي عنوان واحد هو علم المكتبات . وفي المقابل هناك موضوعات تحتاج الى التجزئة كالموضوع الخاص بالقصص والروايات ، لاختلاف الجنس الادبي .

اعتقد ان تكرار الموضوعات هو الذي جعل الحصيلة العامة كبيرة - ٢٨٢ موضوعا - ، ولو نفي المؤلف هذه النقطة لتماسك الثبت الببليوغرافي كثيرا واقتصد بالتماسك سهولة بحث القارئ عن مراده فيه

موت على الماء

صدرت مجموعة « موت على الماء » لعبد العزيز مشري عن النادي الادبي بالرياض عام ١٩٧٠ . تضم المجموعة ثلاث عشرة قصة قصيرة توطرها دراسة لهنري الدميني تم افتتاح المجموعة بها ، كما ضمت المجموعة عديدا من اللوحات التشكيلية لصاحب المجموعة نفسه وهو - كما تشير مقدمة الاستاذ الدميني - شاعر وفنان وكاتب قصة قصيرة . وفي مقبدر قارئ المجموعة التماس شاعرية المؤلف وموهبته الفنية من خلال مضامين القصص ، دون ان يبذل في ذلك جهدا كبيرا .

غير ان الامر البالغ الاهمية هنا هو أسلوب صوغ القصص . فقد تداخل في هذا الصوغ الاحساس الشعري وترك بصماته على الشكل الفني للقصص ، وعلى أسلوب رؤيتها للعالم الخارجي .

اما الامر الاول فالواضح فيه امتزاج اللفظة الشعرية باللفظة النثرية . بل ان الاولى تتفوق على

نحن هنا امام مفردات يكثر تكرارها من «الجفاف - العطش - الماء - الغربة - الوحدة - المدينة - القرية» ، بحيث يستطيع المرء تدوين مضامين القصص في نوع من الجداول المتقابلة :

الجفاف - العطش = الماء

الغربة - الوحدة = التواصل

القرية = المدينة

ان الجداول الممكن صنعها تضم ثنائيات واضحة، علاقتها ضدية دائما ، فالماء مضاد للجفاف ، والقرية مضادة للمدينة ، والغربة مضادة للتواصل ، والجوع مضاد للشبع . وكأني بالقاص عبد العزيز مشري ينقل علاقات الفرد بالمجتمع المحيط به ، وهي علاقات ضدية تشير الى الانهيار الداخلي لهذا المجتمع . ولا بد من القول ان هذه الرؤية هي رؤية فردية بالغة الحدة والفرادة والذاتية . ولا اعتقد ان مستوى العلاقات في المجتمع العربي قد بلغ هذا الحد من الانهيار الداخلي، كما هي الحال في المجتمع الغربي . الا ان المرء يلاحظ بوضوح تصدع علاقة الأنا الفنية للقاص بالواقع، ولا يملك - في نقد النصوص - شيئا سوى القول ان كيميائ العلاقات الاجتماعية عند القاص مشري محكومة برؤية الفنان التشكيلي مشري وليس العكس ، فهذا الفنان باحث ابدأ عن التواصل مع الناس في المدينة ، ومشيرا - دائما - الى الهوة القائمة بين احلام القرويين وامانيهم وممارسات اهل المدينة وحياتهم اليومية . صحيح ان هذه الرؤية سليمة في اطارها العام ولكنها ليست قائمة سوداء في تفصيلاتها وان كانت كذلك في رؤى بعض الفنانين . فان البحث الدؤوب عن امكانات التواصل مع العالم هو الذي يشغلهم ويغلف اعمالهم، دون ان يكون همهم مقصورا على التعبير عن فقدان العلاقة بين الفرد ومجتمعه . هل يكفي لبطل قصة « الدمعة والحظ الهارب » ان ينام حلا لمشكلة حياته او يكفي لبطل قصة « رائحة الجوع والخبز غبار » ان يقول في خاتمة القصة : « ان حبي للصبح غلب نغمات قلبي المسفوحة على عتبات الانتظار » ؟.

ان الشاعر الآنية لا تصنع قصة ، وان الاسلوب القصصي يخفق في عملية الايصال اذا لم يتضمن مقدرة

الثانية تفوقا كبيرا . ذلك ان المؤلف يعتمد اسلوب الصور البلاغية ، ويرتكز اليها في التعبير حتى تبدو خصيصة اسلوبية عنده . وقد اضاف اليها تقطيع جسد القصة الى مقاطع واستخدام الجمل القصيرة ، واستنفاد امكانات علامات الترقيم . ولا يحتاج المرء الى دليل على هذا الكلام لان المجموعة بكاملها نموذج له واليك فاتحة قصته « الدمعة والحظ الهارب » :

« كان قد امتطى جواد الصبح .. مخلفا وراءه غبار الليل . في حين كان يسلم عنه اودية النوم » .

يشير المقبوس الى تلاحق الصور : امتطى جواد الليل - مخلفا وراءه غبار الليل - يسلم عنه اودية النوم . هذه الاستعارات التي تتلاحق ليست شعرا، بحد ذاتها ، ولكنها ركن الشعر وعموده . واذا كانت القصة تستخدم أدوات الشعر لتضمن لنفسها مزيدا من الشفافية ، فان عبد العزيز مشري لا يكتفي بالاستعانة بهذه الادوات ، بل يجعلها ركده في قصصه كلها : ما عدا شذرات قليلة يركن فيها الى اللفظة الشعرية وهذا الامر دفع بقصصه الى الاتجاه التعبيري ولكنها لم تستطع بلوغه ولا حتى الوصول الى ضفافه . نحن هنا امام فنان يكتب يعبر عما في نفسه ، ولسنا امام

قاص يكتب ليكشف حالة نفسية او حياتية محددة . . ذلك ان الاتجاه التعبيري يميل الى ترميز الحالة عن طريق خلعها من سياقها الحقيقي والباسها اُردية جديدة . . والواضح ان قصة « الفارس قديما دخل المدينة » تقترب من هذا الاتجاه ، لانها تعطي « الصارم الخشبي » و « المدينة » و « الاوتاد » ايجاءات مماثلة . تترك للخيال ان يمتد الى الاصاله والى المفارقة بين الحياة المعاصرة وامجاد الاجداد والماضي بعامة . . كما توحى للقارئ بغربة ما هو اصيل في المدينة . على ان مثل هذه القصة في المجموعة قليل ، لان غالبية القصص تفرق في الصور الى اذنيها . فتغدو بعيدة عن التكثيف والايحاء ، وهما رأسا القصة الحديثة عموما .

ان رؤية الفنان للواقع الاجتماعي لا تبدو في الاسلوب فقط ، بل هي ماثلة في مضامين القصص . وقد اعطاها الاستاذ الدميني حقها من الحديث . ان لم نقل انه جهد في التركيز على سماتها الايجابية .

في اثناء ذلك على انه لم يعد صياغة القصص بل نشرها كما كتبها اول مرة .

تضم المجموعة خمس قصص طويلة نوعاما . فالقصة الاولى : امرأة تعبر تفكري التي عنونت المجموعة بها ، تعالج مشكلة اجتماعية هي زواج البنت الصغيرة من رجل يكبرها كثيرا في السن . وعلى الرغم من ان المؤلف يجعل القارئ يدخل القصة دون ان يرهقه بالاسلوب الانشائي او بالمقدمات التمهيدية ، فان الخيوط القصصية تنداح متباعدة عن البداية الطيبة للقصة . فالمرأة في بداية القصة ترسل الى احد محرري الصحف رسالة تقرعه فيها لانه لا يهتم بالمشكلات الحقيقية للمجتمع ، وتروح تسخر منه وتؤنبه وتتهم ثقافته وخبرته ، وتخلص من ذلك الى رواية قصتها الاجتماعية القائلة ان اباهما قد اجبرها على الزواج من صديقه بعد ان توفيت زوجته ، ولكنها لم تستطع التلاؤم مع حياتها الجديدة ، على الرغم من انها انجبت اربعة اطفال . كانت المشادات دائمة والشجار حارا ، حتى انها تركت منزلها الى منزل ابيها ، ونسيت في غمرة انفعالها تناول دواء القلب مما اصابها بأزمة قلبية نقلت بعدها الى المستشفى ، وحين علم زوجها بالامر سقط ميتا . لقد انداحت القصة ، وراحت الدوائر الكثيرة تجتمع في قصة المرأة دون ان تصل في النهاية الى ربط الخاتمة بالدوائر المنداحة . اين المحرر ؟ واين الرسالة ؟ واين مسوغ الاتصال بالمحرر ؟ . ان القصة سلسلة تقول كل شيء لقارئها ، دون ان تترك لخياله فرصة الامتداد . انها قصة تفتقر الى الایحاء والتكثيف سمتي القصة القصيرة . ولكنها - في المقابل - مقروءة ، وبخاصة في بداياتها الاولى .

اما القصة الثانية ، عانس في ليلة زفاف ، فكثير عليها تسميتها بقصة ، لانها لا تملك مقومات هذا الفن . فلا هي موحية ولا مكثفة ، ولا تنقل عمق الواقع الراهن ولا الموضوعي ، ولا تجعلك تنفعل بها او تتابعها بألفة . انها محاولة للولوج الى دخيلة فتاة فاتها قطار الزواج ، تحتفل اسرتها بزواج الابنة الوسطى ، في حين تنتظر الكبيرة لان اباهما التاجر رفض تزويجها من رجل من غير طبقة . . على ان اليأس والوهم بالتلاشي والضرر والابتعاد عن المدعويين ينتهي سريعا وكان شيئا لم يكن ، فقد خرجت هند من غرفتها سيدة تشارك الناس افراحهم .

فنية على التكثيف والایحاء . . وقد كان في قصص عبد العزيز مشري شيء من هذا الامر . على ان فيه شيئا آخر من الایحاء والتكثيف ، مما جعل قصص المجموعة تترجح بين الجودة والافاق ، بين الاسلوب التعبيري والاسلوب التصويري .

تبقى الاشارة الى خطئات املائية ونحوية ولغوية من نحو « مواويلا - يصحوا - ضفائرا - هواء » . .

يعتقد المرء انها خطيئات مطبعية في الغالب الا ان ، وبخاصة ما يتعلل منها بكتابة الالف الفارقة مع الفعل المضارع المعتل الآخر « يصحو ، مثلا » ، او تسجيل الالف تنوين النصب بعد الهمزة المتطرفة المسبوقـة بألف ساكنة .

امرأة تعبر تفكري

صدر هذا الكتاب عن النادي الادبي بالرياض ، سلسلة كتاب الشهر (الرقم ٧) وهو مجموعة قصصية للاستاذ سليمان الحماد ، تضم خمس قصص ومقدمة . يتناول سليمان الحماد في المقدمة هوية الكاتب ودور البيئة والایحاء ، ويخصص جزءا من حديثه للقصة السعودية . يقول في ذلك : « ان مستوانا في مجال القصة لم يزل دون ما كان يجب ان يكون عليه ، لاننا نحتاج الى اكثر من احمد السباعي وحامد دمنهوري وابراهيم الناصر مع فارق الابداعية الفكرية . القصة السعودية لا تتعدى يد القارئ ، فهي لم تعرف طريقا الى التمثيل ، وهي لا تعرف المسرح ، ونجهل ان لدينا محطات للبث التلفزيوني ، الا ما ندر والندر لا حكم له . ونحن - فوق ماتقدم - لم نتعامل بهامع دور النشر ، ولهذا فهي محدودة التعريف والاطلاع ، ورغم ذلك كله فان علينا ان ندرك ان العمل المتقن - العمل الابداعي الرائع - يفرض جودته وروعته على سواه ، ولو انجز في خيمة نائية ونشر في مجتمع بدائي الفكر والثقافة » .

يذكر المؤلف في المقدمة ايضا سبب نشره قصصه القديمة دون غيرها ، وهو الحاج اصدقائه عليه وينص

اصطراع العواطف والآراء وتضاربها واختلاطها ، وفي المعادل الفني لها ، اعني لوحة اللقاء الاخير التي رسمها البطل مستندا فيها الى تجربته الخاصة واحاسيسه الصادقة ، فأجاد وابدع .

ان مجموعة « امرأة تعبر تفكري » تلتفت الى الواقع الاجتماعي في الغالب الاعم ، وتترجم ذلك بلغة الحديث عن المرأة في علاقتها بالرجل . والواضح ان هذه العلاقة مأزومة في القصص كلها تقرها ، وكأنها بذلك تعبر عن علاقة الفرد بمجتمعه ، تلك العلاقة المأزومة التي لا تستقر على حال ، فتدعو الى الهجرة خارج الوطن ، والى التمادي في الخطأ أو الولوج فيه . وفي اعتقادي ان القاص سليمان الحماد قادر على ان يكتب قصة جميلة مائعة اذا حاول تنويع ادواته الفنية ، وتنازل عن شيء كثير من السرد الوصفي والتقرير ، ولجأ الى الى الحوار وتابع تداخل الزمن ، ونقل الحدث من الخارج الى الداخل ، ومن الخاص الى العام .

ابن طباطبا الناقد

على الرغم من استفاضة شهرة الناقد ابن طباطبا فان احدا لم يدرس كتابه « عيار الشعر » دراسة نقدية تسبر غوره . وكان الكتاب قد صدر عام ١٩٥٦ عن المكتبة التجارية في القاهرة في ١٥٨ صفحة من القطع المتوسط ، بتحقيق الدكتورين طه الحاجري ومحمد زغلول سلام . وقد قدم المحققان للكتاب بحديث عن حياة ابن طباطبا وادبه وعصره .

بعد ثلاث وعشرين سنة على صدور كتاب « عيار الشعر » ، شهدت المكتبة العربية اول دراسة لهذا الكتاب ، ألفها الدكتور محمد عبد الرحمن الربيع . وقد صدر كتابه عن النادي الادبي بالرياض عام ١٩٧٩ ، ضمن سلسلة كتاب الشهر (رقم ٤) . على ان الكتاب موجز عن رسالة اكااديمية نال بها المؤلف درجة الماجستير من كلية اللغة العربية بجامعة الازهر ، وحاول في كتابه « ابن طباطبا الناقد » تقديم موجز عن هذه الرسالة في ١١٢ من القطع الصغير .

اما القصة الثالثة ، رسالة السي امرأة فاضلة ، فليست احسن من سابقتها ، بل هي اكثر ايفالا في الاسلوب الانشائي السردى . انها رسالة من رجل الى امرأة كان يحبها ولكنه اقترن بغيرها لان امه المريضة تحتاج الى رعاية ، ولان ابا حبيبته يرفض تزويجها من رجل عادي . بعد عشر سنوات على الزواج : زواج الرجل ، وزواج الحبيبة ، يرسل العاشق رسالته الى معشوقته يشرح لها فيها سبب زواجه ، واسلوب حياته مع زوجته ، وتدمه لانه لا يحب زوجته وهي الباحثة ابدا عن الاشياء التي ترضيه وتسعده . ثم مطالبته حبيبته الفاضلة بالاقتراب من زوجها ومحاولة فهمه . ليس لهذا النص ما يجعله داخلا في حيز القصة سواء نظرنا الى الحدث ام الشخصيات ام الاسلوب .

اما القصة الرابعة ، دائما اغلق الباب خلفك ، فتسرد حدثا خاصا لا يخلص منه المؤلف الى شيء ذي بال . فبطل القصة مفترب ينوي العودة الى وطنه ، ويروح يعمل النفس بقليا طفليه ، وبالهدايا يجلبها معه اليهما ، ويعد نقوده استعدادا لذلك ولكن حادثة سرقة في الفندق يصحبها اطلاق رصاص تجعله يستيقظ من نومه ويغادر غرفته سريعا ومحفظته النقود بجانب السرير مع تذكرة العودة ، وحين يعلم نبأ السطو يعود الى غرفته فاذا محفظة النقود قد سرقت ووضعت مكانها ورقة كتب عليها « دائما اغلق الباب خلفك » ، تحاول القصة تصوير المفارقة بين الاحلام الذاتية والواقع الاجتماعي في قسوته وتهديده الاحلام بالاخفاق والخذلان . ومن هذه الزاوية تلتهم القصة ولكنها تبقى مظلمة اذا نظرنا من الزوايا الاخرى . لان السرد التقريرى الوصفي هو الذي حمل عبء التعبير عن الحنين الداخلي للبطل ، ولم تستطع القصة ايصال هذا الحنين الى القارئ عن طريق تصوير اللفة والحرقة . بمعنى انها كابت تتحدث عن الحنين ولم تكن تصوره .

اما القصة الاخيرة « اللقاء الاخير » فهي اجود قصص المجموعة واكثرها فنية . انها قصة الفنان المفترب في علاقاته العاطفية المخففة : وفي ابتعاده عن وطنه ، وفي بعده عن تجربته الخاصة في عمله الفني . في هذه القصة تختلط العواطف وتتصارع بين اقبال الحبيب وعزوف الحبيبة ، بين الاغتراب والوطن المجسد في سلمى واخيها محمود ، بين الفن المهاجر والفن العائد الى وطنه . جمال هذه القصة في ذلك كله ، في

التفت الدكتور محمد عبد الرحمن الربيع السي
تصحيح نسب ابن طباطبا أولا ، فرأى انه أبو الحسن بن
أحمد بن محمد بن أحمد بن ابراهيم طباطبا بن اسماعيل
ابن ابراهيم بن الحسن بن علي بن ابي طالب .

اما طباطبا (بفتح الطاءين) فلقب لجده ابراهيم .

ثم التفت المؤلف الى تحديد زمن ولادة الناقد فرجع
اليه ولد في أواخر النصف الاول من القرن الثالث
الهجري أو أوائل النصف الثاني منه . اما وفاته فهي
عام ٣٢٢ هـ - ٩٣٤ م . لابن طباطبا عدد من المؤلفات
لم يبق منها سوى كتابه « عيار الشر » وكان
الدكتوران الحاجري وسلام قد حققا هذا الكتاب عن
نسخة مصورة عن الاصل المحفوظ بمكتبة الاسكوريال .

يهتم الدكتور الربيع في أثناء الحديث عن نسب ابن
طباطبا ومؤلفاته بتصحيح او هام السابقين عليه ،
من نحو :

- اسماعيل البغدادي في هدية العارفين

- الدكتوران الحاجري وسلام في مقدمة عيار الشعر

ثم يبدأ المؤلف بالتعريف بكتاب عيار الشعر فيذكر
ان ابن طباطبا قد ألفه جوابا عن سؤال وجهه اليه ابو
القاسم سعد بن عبد الرحمن ، وقد كان السؤال خاصا
بعلم الشعر وكيف يتوصل الانسان الى نظمه .. اما
خطة الكتاب فرأى المؤلف انها قائمة على :

- الاختصار

- الاستطراد وعدم التبويب المنطقي

- الاكثار من الشواهد والامثلة لما جعل الجانب
التطبيقي بارزا

وقد اراد ابن طباطبا بعيار الشعر الميزان الذي
يقاس به الشعر ويوزن ويحكم عليه ، وهو يرى ان
معايير الحكم على الشعر اربعة :

١ - الفهم الثاقب (الاعتدال والصواب - اعتدال

الوزن - صوب المعنى - حسن الالفاظ) .

٢ - مطابقة الشعر للحالة التي يقال فيها

٣ - اقتراب القصيدة من الرسالة . يقول في ذلك:
(من الاشعار اشعار محكمة متقنة انيقة الالفاظ حكيمة
المعاني عجيبة التأليف ، اذا نقضت وجعلت نشر لم
تبطل جودة معانيها ولم تفقد جزالة الفاظها) ..

٤ - وضع كل كلمة من القصيدة في موضعها
المناسب . يقول في ذلك (واحسن الشعر ما توضع
فيه كل كلمة موضعها حتى تطابق المعنى الذي اريدت
له ، ويكون شاهدها معها لا تحتاج الى تفسير من غير
ذاتها) ..

على ان الهام جدا في كتاب عيار الشعر هو الحديث
عن الوحدة الفنية للقصيدة . فهذا الامر عند ابن طباطبا
ينم عن « فهم دقيق للوحدة الفنية في الشعر قل ان نجد
له مثيلا في كتب النقد العربي السابقة واللاحقة له » .
فالوحدة الفنية - كما يقول الدكتور الربيع - موضوع
نقدي هام وقديم في النقد الادبي . وقد بدأ افلاطون
الحديث عنه ، ثم تابع تلميذه ارسطو في كتابه « فن
الشعر » الحديث نفسه ، حيث دعا الى ان يكون العمل
الادبي وحدة عضوية مترابطة لا مجموعة اعمال من غير
ترابط عضوي بينها . (يجب ان يكون العقل واحدا
تاما ، وان تؤلف الاجزاء بحيث اذا نقل او بتر جزء
انفرط عقد لكل وتزعزع) . وقد اجمل الدكتور الربيع
نقاط الوحدة الفنية عند ابن طباطبا في ست نقاط هي:

١ - الملاءمة بين الالفاظ والمعاني وحسن التركيب
واعتدال الاجزاء وتهذيب القصيدة وتنقيتها من
الشوائب .

٢ - العناية بمطالع القصائد وافتتاحياتها لتكون
اقرب الى ذهن السامع . كما حث على الاهتمام بحسن
التخلص والانتقال من غرض الى غرض بلباقة وحذق
حتى لا تتقطع اجزاء القصيدة .

٣ - الاهتمام بتنسيق الابيات وحسن تجاورها
ومجانبة الحشو الذي لا فائدة منه .

الشعر في ظلال

حركة الامام محمد بن عبد الوهاب

صدر الكتاب عن النادي الادبي بالرياض . ضمن سلسلة كتاب الشهر (رقم ٦) ، وهو من تأليف الدكتور عبد الله الحامد . يضم الكتاب جزءا من رسالة تتناول الشعر في الجزيرة العربية ونجد والحجاز والاحساء والقطيف . منذ قيام حركة الامام محمد بن عبد الوهاب حتى منتصف القرن الرابع عشر . يقول المؤلف في مقدمة الكتاب : « وهو محاولة لتأريخ هذا الشعر والوقوف على ابرز سماته وظواهره في تلك الفترة التي جار عليها بعض الباحثين فاعتبروها امتدادا لعصور الانحطاط ضحالة وركاكة وضعفا . وأرسلوا بعض الاحكام المعجمة التي نتجت عن تطبيق المذاهب النقدية الحديثة كاملة ، دون مراعاة لظروفه واجوائه ، وهي المقاييس التي لو طبقت على ادبنا العربي في أزهى عصوره لحولته الى رماد لا خير فيه ، وقد حاول البحث ان يكشف جوانب مضيئة في هذا الشعر ، فيها قوة وجدة ، وسمات أخرى تميز هذا الشعر لا توجد الا في الادب الحي الذي يواكب الحركات الاصلاحية الدينية والسياسية » .

يضم الكتاب أربعة فصول ، ينصرف الفصل الاول الى الموضوعات ، بحيث يتحدث المؤلف عن افكار الدعوة وشعر الدفاع عنها ، وشعر الهجاء والمديح ، ووصف المعارك والفتوح ، والشعر السياسي ، وشعر البكاء والثناء . يرى المؤلف في هذا الفصل ان الشعر الذي يشرح الدعوة واهدافها اضعف الاغراض واقلها ، لانه تأخر عن مواكبة الدعوة باللسان والرسائل والكتب . اما الشعر الخاص بالدفاع عن الحركة فقد واكب الدعوة في مراحلها كلها ، وعني بالجانب الفكري منها على وجه الخصوص ، لان غالبية المهاجمين كانوا ينصرفون الى فكرة الدعوة اكثر من انصرفهم الى حركتها . وقد تطور هذا الشعر من شرح افكار الدعوة بأسلوب هادئ على الاسلوب القوي الحاد ، ثم ظهرت النقائص التي يصعب على الدارس فحصها لفقدانها . وينص المؤلف على ان المعارك لم تعنف في شيء من القضايا كما عنفت واشتدت في قضية بناء الاضرحة على القبور ، والطواف عليها ، ومسألة زيارة النبي عليه السلام والنذور للقبور ، والذبائح التي تراق على

٤ - ميزان وحدة القصيدة وترباطها هو عدم امكانية التقديم والتأخير فيها .

٥ - القصيدة المتكاملة اشبه بالرسالة والخطبة المترابطة الاجزاء .

٦ - ينبغي ان تكون القصيدة كالكلمة الواحدة في اشتباه اولها بآخرها نسجا وحسنا وفصاحة وجزالة الفاظ ودقة معان وصواب تأليف .

لقد لاحظ الدكتور الربيع ان مفهوم الوحدة الفنية عند ابن طباطبا مقصور على تناسق القصيدة وترباطها ، واجادة انتقال الشاعر من غرض الى آخر . (فالقصيدة عنده متعددة الاغراض والربط بين الاجزاء عمل عقلي صناعي يعتمد اليه الشاعر كخطوة من خطوات العمل الشعري ، بينما يرى ارسطو ان الوحدة تقتضي ان يكون الفعل واحدا تاما فلا تعدد في موضوعات القصيدة) كما يرى الدكتور ربيع انه لا يوجد تناقض بين ما دعا اليه ابن طباطبا من وحدة القصيدة وبين ما يقتضيه عمود الشعر من تعدد الاغراض .

تابع الدكتور الربيع حديثه بعد ذلك عن مطالع القصائد في رأي ابن طباطبا ، ومراحل العمل الادبي ، وثقافة الشاعر ، وقضية اللفظ والمعنى ، واقسام الشعر ، وشعر القدماء والمحدثين ، والسرقات الادبية والتشبيه ، ومنهج الناقد في نقده ، ومقارنة بين كتاب عيار الشعر وبعض الكتب المعاصرة له . واهم ما يلفت نظر المرء في هذه الامور حديث ابن طباطبا عن مشكلة السرقات وعن التشبيه ، وبالذات الامر الثاني الذي عند فيه ابن طباطبا مجليا . والحقيقة ان جهد الدكتور محمد عبد الرحمن الربيع يستحق الثناء ، فقد عرف بابن طباطبا تعريفا شاملا لم فيه شتات الآراء التي طرحها الدكتور محمد زغلول سلام في كتابه تاريخ النقد الادبي ، والدكتور احسان عباس في كتاب المعنونة بالعنوان السابق نفسه ، اضافة الى الآراء المتفرقة الواردة في مقدمة كتاب عيار الشعر ، وهي مقدمة كتبها محققا الكتاب الدكتوران الحاجري وسلام . وآراء الدكتور محمد غنيمي هلال في كتابه النقد الادبي الحديث .

صلاح الدين

في الشعر العربي المعاصر

صدر هذا الكتاب عن النادي الادبي بالرياض ، سلسلة كتاب الشهر (رقم ٩) ، وهو للدكتور صالح جواد الطعمة . يلتفت المؤلف الى ظاهرة شعرية اسمها « صلاح الدين الايوبي » ، او الظاهرة الصلاحية كما يؤثر ايجازها . فقد التفت المؤلفون والشعراء العرب الى هذه الشخصية ، فالفوا فيها كتباً كثيرة جداً عني الدكتور طعمة بذكر عناوينها . كما التفت الشعراء الى الظاهرة نفسها فجعلوها رمزا يعبر عن معاناتهم في الواقع ، ورؤيتهم للمستقبل ، من هؤلاء : علي الجندي - عدنان مردم - محمد بهجة الاثري - شفيق جبري - انور العطار - نزار قباني - الياس قنصل - زكي قنصل . وقد آثرت ذكر اسماء الشعراء السوريين وحسب لادلل على كثرة الشعراء في الوطن العربي الذين استوحوا بطولات صلاح الدين وجعلوها رموزاً في اشعارهم . وينص المؤلف على ان الشعراء الذين استخدموا الصيغة الصلاحية يمثلون اتجاهات سياسية او عقائد دينية متباينة ، وينتمون الى مذاهب شعرية مختلفة . « وليس من الغرابة في شيء ان يكتسب صلاح الدين - دون سواه من النماذج المترددة في الشعر الحديث - بمكانة خاصة لا من حيث تكرار التلميح اليه كبطل يستحق التمجيد فحسب ، بل من حيث التأكيد عليه كرمز للخلاص من المحن التي يعانيها العرب اليوم ، حتى انه استحال الى ما يسمى بالصيغة او اللازمية الصلاحية ، يكررها الشاعر ويضيف اليها الواناً وعناصر جديدة كلما احس بأخطار التحدي الخارجي ، مكتفياً بالاشارة الخاطفة في بيت او بضعة ابیات ، او مكرساً قصيدة كاملة لوصف اعمال صلاح الدين وسجاياه ، وللمقارنة بطريقة مباشرة او غير مباشرة بين الماضي والحاضر . كما نلاحظ ذلك في « بحيرة طبرية » لشكيب ارسلان . و « بطل حطين » لعلي الجندي ، و « يوم حطين » لعدنان مردم . وقد رأى المؤلف ان المتأمل في شعر هؤلاء الشعراء يلاحظ ورودها ضمن ثلاثة اطر :

١ - الاطار الاسلامي

٢ - الاطار العربي

٣ - الاطار الفلسطيني

عتباتها للصالحين والاولياء . اما شعر الهجاء فقد دخل النقائص . فتحولت القصيدة الى هجاء ديني وسياسي ومذهبي . يقل فيه الاعتماد على المنطق الديني ويكثر الاعتماد على العاطفة . وقصائد هذا اللون من الجود شعر النقائص واقربها الى روح الشعر ، كما انها طويلة عدداً وبحوراً . وقد شاعت فيها الفاظ القذف الديني من الكفر والالحاد والفسق والزندقة والضلالة والردة ، فضلاً عن الفاظ القذف الشخصي .

ينصرف الفصل الثاني من الكتاب الى الحديث عن الشعراء احمد بن مشرف - وسليمان بن سحمان - ومحمد بن عثيمين - وحسين بن غنام - وعبد اللطيف آل الشيخ - وابن عوق - وابن معمر - والحفظيين - ومحمد بن بليهد . في حين ينصرف الفصل الثالث الى السمات والخصائص العامة ، وهي :

- الحرص على المطالع الموضوعية التي تتصل بالموضوع الذي يتحدث عنه الشاعر مباشرة .

- روح الحزن والاسى ، وبالذات شعر البكاء والرثاء والشكوى .

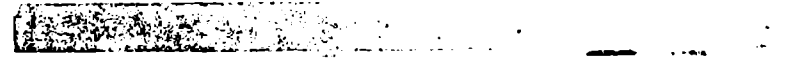
- يتسم الشعر بالجد دون الهزل . ومن اجل هذه الجدية خلت اشعارهم من الغزل والمجون واللهو .

- بروز الروح الدينية .

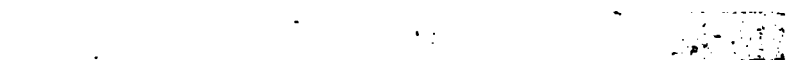
اما الفصل الرابع فخاص بالشعر في نجد . وقد تحدث المؤلف عن شعراء الدعوة في نجد وهو : عثمان ابن سند - عثمان بن منصور - حسين النفيسة - احمد البسام .

هذا هو الاطار العام لكتاب « الشعر في ظلال حركة الامام محمد بن عبد الوهاب » . وهو اطار لا يغني بآية حال عن قراءة الكتاب لان فيه تعريفاً بهذا اللون من الشعر . وتدقيقاً في شعرائه واتجاهات كل منهم الادبية والفكرية .

أما الإطار الإسلامي فيقرن البطل بدفاعه عن الدين . وليس في هذا المنحى غرابة لسببين أساسيين ، أولهما الطبيعة الدينية لمعارك الصليبيين ، وثانيهما الروح الدينية التي دفعت الشعراء أنفسهم إلى استلham صلاح الدين في إطار إسلامي خاصة في الفترة التي سبقت انهيار الدولة العثمانية ، أو الروح الصليبية التي انعكست في الغزو الأوربي الجديد ، مما جعل المفكرين العرب ينظرون إلى الاستعمار الغربي على أنه امتداد للحروب الصليبية . في هذا الإطار نجد قصائد أحمد شوقي : كبار الحوادث في وادي النيل - تحية غليوم الثاني لصلاح الدين في القبر - الأندلس الجديدة ضريح صلاح الدين - نكبة دمشق - كما نجد قصائد أخرى للامير شكيب أرسلان : بحيرة طبرية - ولحمود محمد صادق : مخالب الغرب في عنق الشرق ، ولعلي الجندي : بطل حطين ..



أما الإطار العربي فالمقصود به ما قيل من شعر بعد انفصال العرب عن تركية . فقد شهد هذا الشعر تحولا في الاستشهاد بصلاح الدين ولكن هذا التحول لم يهمل اهمالا تاما علاقة البطل بالاسلام ولا سيما الفترة التي أعقبت الحرب العالمية الاولى . في هذا الإطار نلاحظ قصائد عديدة لمحمد رضا الشيباني : دمشق وبغداد ، والمعروف الرصافي : مظاهر التعصب في عصر المدنية ، وللقروي : التناك ، والدكتور جورج صوايا ، واحمد محرم ، ومحمد علي الحوماني ، وبدر شاكر السياب والياس قنصل وغيرهم .



أما الإطار الفلسطيني فصالح الدين يتحول فيه إلى لازمة شعرية مهمة ، تمثل عنصرا بارزا في بناء الملحمة أو الفكرة المتكررة التي تتسم بها بعض الاعمال

والاتجاهات الادبية أو الفنية . وقد اتخذت هذه « اللازمة » أو الفكرة « الصلاحية » قوالب مختلفة اهمها مناجاته والتغني بفضائله خلقا وبطولة وحكما ، والوقوف التقليدي على قبره لاستنهاضه ، والدعوة إلى التبرك بتربة المعركة الحاسمة حطين ، والبحث عن نظيره العربي المعاصر ، والايامن المتفائل بوجوده وخيبة التطلع إليه أو الاحساس احيانا بعقم البحث عنه . ويرى المؤلف ايضا ان تزايد اهتمام الشاعر العربي بالفكرة أو الصيغة ضمن الإطار الفلسطيني واضح منذ الثلاثينات ، حين اشتدت مقاومة العرب للاطماع الصهيونية في فلسطين . وقد مثل ذلك الشعراء : الكاظمي في قصيدته « ذكرى حطين » ، وابراهيم طوقان في قصيدته « حطين » ، والجواهري في قصيدته « تحية الجيوش العربية ، فلسطين » ، وجورج صيدح في « جهاد فلسطين » وغيرهم . والواضح ان الشاعر في تلميحته إلى صلاح الدين يستهدف - قبل كل شيء - تذكير قومه بصفحة بطولة مشرقة من ماضيهم ، والدعوة إلى تجديدها في معركة اليوم . غير انه لا يقف عند هذا الحد ، بل يضيف على تلميحته طابعا تهديديا يقصد به الاعداء ، أي ان الفكرة الصلاحية تؤدي وظيفة ذات جانبيين : استثارة الهمم ، وتهديد العدو بما آلت إليه حملات عدوانية سابقة . ويصوغ الشعراء هذا التهديد بلغة مؤمنة تغلب عليها مسحة الخطابة ، ولا تخلو من اسراف في التفاؤل ، أو تهويل لما يهبه الواقع من عوامل الانتصار . غير ان هذه اللغة المتفائلة لا تسلم من مرارة الاحساس بخيبة التطلع لمن يقوم مقام صلاح الدين . وهذا اللون من الاحساس يتخذ صوراً مختلفة اولها البحث عن خلف لم في صيغة تساؤل ، قد يقصد به الحث واثارة الهمم ، أو الاستنكار .

لقد ازدادت صور الاحساس بالخيبة قسوة في

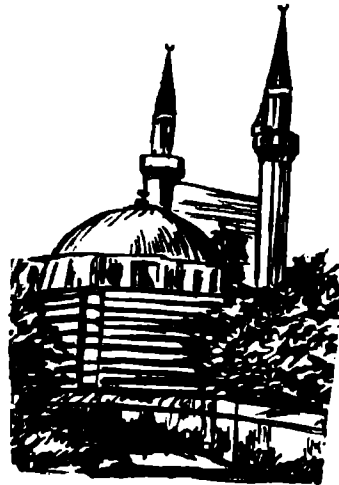
إحياءاتها بعد هزيمة حزيران ١٩٦٧ ففي شعر الشعراء نلمس سخرية لاذعة بالتظاهر أو بالتمثيل البطولي باسم انقاذ فلسطين ، كما في قصيدة محمود درويش « انا آت الى ظل عينيك » ، او قصيدة « فصول منتزعة » لصلاح عبد الصبور . ومن صور الاحساس بالخيبة ثورة الشاعر على تحكم الماضي في سلوك قومه ، ورفضه للرؤية الخلفية كالتغني بامجاد الامس وفي مقدمتها صلاح الدين . على ان لهب الخيبة يستحيل احيانا وهجا يشيع الثقة والتفاؤل بالغد ، ويعين الشاعر على رؤية ما يحمله الغيب من خلاص . فيردد مرة اخرى صورة الانتظار لصلاح الدين والتطلع الى حطين جديدة . ومن الوسائل التي يستخدمها الشاعر لتسويق هذه الرؤية المتغائلة التذكير بما عاينه فلسطين من قبل على ايدي الغزاة في عهد الصليبيين والكفاح الصابر الذي خاضه العرب فآدى الى نصرهم بقيادة صلاح الدين . ومن رسائله الاخرى التساؤل عن مصير الفاتحين بالامس القريب ، امثال غورو واللبني .

من جوانب الفكرة الصلاحية تشبيه صور بطولية معاصرة بصلاح الدين . وقد ظهر في شعرنا المعاصر

ثالوث كتب الشعراء فيه كشيئا من شعرهم هو : فلسطين - صلاح الدين - جمال عبد الناصر . فقد كان الشعراء يقومون بقرن بطولة عبد الناصر بطولية صلاح الدين فيما يخص فلسطين . ولقد بلغ التأكيد على هذه العلاقة بين صلاح الدين والرئيس عبد الناصر حدا دفع صاحب مجموعة المشاعر كامل أمين الى نحت تسمية تعبر عنها : جمال الدين الايوبي ، واستعمالها عنوانا لقصيدة تشيد بأوجه الشبه بينهما .

لقد إجاد الدكتور صالح جواد الطعمة اجادة كبيرة حين تتبع - مخلصا - رمز صلاح الدين الايوبي في الشعر العربي المعاصر ، فوضح تطور الرمز بتطور الاحداث العربية . وأبان تأثيره في الشعراء العرب . وفي الاشعور الجمعي للمتلقين لهذا الشعر . وليس هناك شك في ان المؤلف كان يعتمد الحديث الوسفي . ولم يكن من غرضه تحليل الرمز وبيان سبب استمراره وشيوعه . واسياب قبوله الاجتماعية والسياسية . ولو فعل ذلك لاربى على الغاية .

● سمر روجي الفصل



قيثار الجمال

للشاعر: شفيق عبد الخالق

مهداة الى صاحب ديوان - يا ليل - الشاعر الكبير الاستاذ مدحة عكاش

يا ليل احلام مجنحة الرؤى
فيه من الشوق المدله نفحة
- يا ليل - قيثار الجمال ولحنه
لا يبدع النغم الجميل وصورة
وجعلت ربة كل شعر شيقا
عصفت قصائدك العذاب ترسحا
فبأي احياء بنيت هياكلا
ومعابد للحب والرواد
ومن الالباء الصلب أفضل زاد
والكون أسمع وانت الشادي
الانعام والنشوى سوى العواد
تقفو على نغم من الانشاد
بقوام كل مليحة، مباد
وأضأت بهجتها بنور فؤاد !

وأبيت ان تشكو الزمان مرارة
بالرغم من « غضبات دهرك » لم تنزل
وشخت كالنسر الابي وفي المنى
لك قلب جبار وصهوة عاشق
والحر لا يخشى صروف عوادي
كالسيف منسلطا من الاغماد
ما يهدم العالي من الاطواد
عيناك لم تحفل بطول مهاد

ماذا تركت من الشفاه وكلها
وأجزت بعدك للشفاه فلم تذق
ورفعت محراب الجمال وصنته
والليل ، أين الليل ! شعرك جمرة
صليت في حرم الجمال وكنت في
وبكل قافية سكبت حشاشة
وكان ما دبجته وكتبته
وشخذت من دنيا الجمال « زوارقا »
عبر النجوم ومن يطوف بجوها

« جمعت بواحدة » وغيرك صادي
الا « شفاه الكأس » بعد عناد
من كل مقنص الجمال وغادي
جعلت ظلام الليل نورا هادي
صلواتك المثلى من العباد
وصباية وعصارة الاكباد
فيه حرارة قلبك البوقاد
« والصبوة الملاح » في الابعاد
هو والسنا الزاهي على ميعاد

يا طامعا بدننى الجمال وحسنها
ينمو بشعرك كل حب عشته
يا حامل الادب الرفيع منائرا
أطعمت قلبك للجمال وشعره

أفما خشيت مكائد الحساد !
فكتبته بالروح لا بمداد
لك في رياض الشعر بيض أيادي
وسقيت بالنجوى حروف الضاد

سان باولو : شفيق عبد الخالق

جناية الاحباب

للشاعر: أحمد علي من

ما بي - اذا سألت عيونك ما بي
لولا مراودة الطيوف لمقلتي
علم الهوى وعلست من اخباره
ومررت بالاحلام وهي ترى على
لوتها ، ونسجت من ألوانها
ولقد تذوقت الهوى وصنوفه
ترد النجوم على هلال محجري
رقص الشعاع بها . وجن وهش لي
آمنت بالحب الذي اسمو به
حب سماوي السمات رأيت
سكرت بخمرته مشاعر خافقي
غير الهوى وجناية الاحباب
اسدلت دون هواك ألف حجاب
جزع الحجبى وتشنج الاعصاب
وهج الجفون شيفة الأنواب
نفسى وكل روائعي وشبابي
وعرفت طعم عذوبتي وعذابي
مجنونة عصية الايجاب
فكأنسا احابه احبابي
بين القلوب لعالم جذاب
خلف الظلال الخضر غير ترابي
وغفت تعب سلافه اهدابي

حلم الربيع فهل مررت بجفنه
وكان عاطرة الرؤى من بوحه
هتفت بمزهرها الطروب قصائدي

طبقا يهدده الجمال السابي
حفلت بكل مواسم الاطياب
واستلهمت نجم الحياة ربابي

يا انت يا وتر الصلاة بسعدي
لا تجزعي ، فعلى هيس خواطري
اعطيت حنك كل ما حلت به
نصت على الحب الطهور وقدست
ولقد عتبت على ابن صدري وهو في
هل غاب عن وعي الشعور فصدني
طهرت قلبي من وساوس هاجس
ولد جريت مع العفاف وما انطوت
آمنت في قدس الجمال وما حوى

وطراوة التسييح في محرابي
سبحت رؤاك بما بح صخاب
دنيا الروائع في اولي الالباب
معناه كل شريعة وكتاب
طيش الهوى لم يستجيب لعتابي
عنه غياب تجملي وغيابي
نزق ونزوة آثم مرتاب
يوما على غير العفاف رغابي
خلف الربى من ساحر تخاب

طرطوس - احمد علي حسن

أنت أفدري

للشاعرة: وفاء علي

حبك الطافي .. أغني
قلبي ... وجفني
بالهوى .. بالعشق مني
ولا تمنعه عني !!
ومن آلام سجني
كيف في سجني أغني

رد عني ، رد عني
رد عني النار ، رد النار عن
لست أدري ! أنت أدري
لا تدعني للظي نهبا
آه من قيدي .. وجلادي ،
لست أدري كيف أحيا

ويا كل التمني
كل لحن ، كل فن ؟؟
لحن حزن ، أي حزن !

أنت يا أوفى ، ويا أغلى
أنت لحن ، أين منه
وأنا لحن ! ولكن

قبل عينك .. وعيني !
ظلمة الليل الاجن !!
أن يغني ، وينمي
أن قلبي مثل لحن
بين ألحاني تجدني ..

لم أكن أقتات صباحا
لم أكن أقتات الا
أنت أفراحي ، وما اغنسي من النعمى ،
أن لحنني مثل قلبي
أن أمت يوما وأفنى

وفاء علي

سعيد الجزائري

الصديق الراحل

للشاعر: انور الجندي

أوماً الليل ، فابكه يا عبيد ...
أيها المدلج البعيد ، بعيدا ...
كيف خلفتني وحيدا ، شريدا ...
أتناسيت موعدا ، ولقاء ...
والتقينا ، كأننا اغنيات ...
وسهرنا هوى ، وضاعت بنا الدنيا ...
وأطل الصباح حلوا ، نديا ...
وشربنا ، وتغتنع السكر قلوبنا ، فباحث بالسر عين ، وجيد ...
هكذا كان عمرنا ، فتلفّت ...
ماتت الذكريات ، مات سعيد ...
أقرب لقاءنا ، أم بعيد ...؟
أفريضيك أن يسوت الشريد ...؟
وحديثا ، تغار منه الورود ...؟
مترفات ، وحرقة ، ووعود ...
والسكارى منى ، وذن ، وعود ...
كيف ألوى بنا الزمان العنيد ...



أيها الراحل المضخ بالاطياب ، قل لي ، ألم ترعك اللحد ...؟
والظلام الرهيب . والعزلة الخرساء ، والقبر ، والفراغ المديد ...؟
كم تغنيت بالأحبة في الليل ، وكم أيقظت هواك الخدود ...؟
قم من القبر ، واسأل الفجر عنا ...
عن ليال ، أحبها لو تعود ...
عن حبيب ، زقفته الراح حتى ...
جاء بالذل ، والحبيب يجود ...

ذكريات مررن بالشاعر المخزون وهنا ، فليله تسهيد ...
والاغاني لهفة ، وعويل ... والاماني خدعة ، ووجود ...



يا صديقي ، وقد رحلت عن الدنيا ، وأنت المجرب ، المعدود ...
أنت أدري بسا نحس من الآلام ، والحس وحده المفقود ...
عالم غاص في المهازل مجنوننا ، ودهر ، مخاتل ، عرييد ...
وأناس لا يعرفون سوى الاموال ، تهني بخيرها ، وتزيد ...
وأخ يحسب الحياة انتقاما... من أخيه ، فعصره تنكيد ...



يا صديقي ، والموت حلو ، شهيد ...
والحياة التي بكيت عليها ...
وزمان يعيش فيه ذليل ...
لزمان كالبيد ، فقير ، خواء ...
فاسترح يا نجبي روجي مجبورا ، فقي القبر ، يهدأ المكدود ...
حين يؤذيك جاهل ، وحسود ...
حلم تافه ، ووهم بديد ...
ويسوت المؤمل ، المنشود ...
عاش في ظله الظليل .. العبيد ...



يا صديقي ، وفي فؤادي شوق ...
أنا في هذه الحياة غريب ...
للقاء تذوب فيه الحدود ...
فستى نعم الغريب ، الوحيد ...؟

انور الجندي

سلمية في ١٥-٥-١٩٨١

كيف أنسى؟

للشاعر: حامد حسن

الى روح صديقي الشاعر اديب الطيار

واكبت نعشك الحبيب القلوب والسنا في ركابه ، والطيوب
هزها لاجع الحنين ، ولا عيب اذا حن للحبيب الحبيب
ما عبرنا الدروب نحوك الا طالعتنا بما يذيب الدروب
أنت بين الضلوع وهج لهيب ربنا مزق الضلوع اللهب !
يا وجيب القلوب في يوم منعهاء ، وذكراه ، رحمة يا وجيب !!



هاجر العندليب عن أكمة الشعر ، وأبقى شقيقه العندليب
شاعر شاب سالفاه ، ولكن قلبه مثل شعره لا يشيب
شاعر يعشق الجمال ولو كا ن ضللا ، فانه لا يتوب
انه الشعر في الجوارح والارواح هس ، ونشوة ، وديب
يخضب الرمل والصحاري اذا طا ف ، ونداها الخيال الخصب



عاد آذاري يا « أديب » وآذا ر ، رفيف ، وأغنيات ، وطيب
عربد العطر في النفوح الندايا وانتشى الشاطئ النعيم اللعوب
فعلى السفح راقص ومغن وعلى التل عازف وخطيب

وعلى رفرف المقاصير غيد يعذب الشعر عندها ، ويطيب
ثغرها مثل كأسنا عندي يجسد الفجر فوقه . ويدوب !!
قم بنا نسرق الاصيل من الشمس ، فقد ذهب التلال الغروب
قم بنا نهب الدنان فقي قلبي إلى نهبا حين مذيّب



كيف أنسى على « المطلة » لقا نا ، وقد ملّم الشعاع المغيّب
نحن ، والشعر ، والهوى ، والمنى ، والليل ، والعاطران : ثغر وكوب
زغردت عزة ، وماست ليس وصيت كوثر ، وغنت عريب
لو همى عطرهن بالبيد جن الرمل ، من شوقه ، وحن الكثيب
قم بنا نستحم بالفجر والعطر ، ونحسو كؤوسنا ... ونغيّب !!
كل نعمى وراء هذا فاني مستهين بأمرها ، مستريب !!!



يهمل الشاعر النبي لان الشعر والفقر حظّه ، والنصيب
لم يروا فيه ما يريب ، وهل في وهجة النور في الضحى ما يريب
نحن أغنى مشاعرا ، غير أن الشعر في مذهب الغني عيوب
كل ما نبتغيه أن تشبع الروح ، وسيان أن تجوع الجيوب
والهوى ، والقلوب شتى ، فقلب ممرع بالسنا ، وقلب جديب
عاد آذار يا أديب ، وآذار ، رفيف ، ووشوشات ، وطيب
قم بنا نستحم بالفجر والعطر ، ونحسو كؤوسنا ... ونغيّب



غيب القبر من أحب ، ولكن ظل في القلب حاضرا لا يغيب
سوف يحو الزمان من إخطار الذكرى أحب المنى ، ويبقى « أديب »

الدريكتين : حامد حسن

شعر الحارث

شعر د. أبو الطوفان فلاح اللاسد

شعلا تضيء اخواطري
ريح تشتت ناظري

★ ★ ★

درر السكينة والامان
خمر .. تعشق في الدنان

★ ★ ★

صخب العباب الواثق
متفجرا .. بالعابق ..

★ ★ ★

أمل الحزين اليأس
جزع الحنين البأس

★ ★ ★

نورا يشعشع كاليقين
قلم .. تفجر بالثمين

★ ★ ★

يا ومضة البرق اثري
الشك أثقل كاهلي

يا ومضة البرق امطري
هاكي جداول خلوتي

يا ومضة البرق اثري
الشعر يحرق .. حقله

يا ومضة البرق اطلقني
أسقيته .. مر الاسى

يا ومضة البرق اشركي
سلوى الحزاني .. دنك

يا ومضة البرق انخلي
النقد يبت ريشه

شرر القريض اللاذع
نبت القتاد اللاسع

★ ★ ★

يا ومضة البرق احثي
حراث حقلي حالم

مضض الشعور القارض
بشمار فيض الغامض

★ ★ ★

يا ومضة البرق اجلي
الشمس تشر .. قمحها

عبق العظيم النادر
ثرر القوي القادر

★ ★ ★

يا ومضة البرق اعزفي
الام توقد عطفها

نم السحاب الزاحف
بظلال عش شاغف

★ ★ ★

يا ومضة البرق اعصفي
الشعر حطم .. نيره

كعواصف المحروم
فتألقي برسومي

د. ابو الهدى فؤاد الاسعد

عضو اتحاد الكتّاب العرب

الشريف الرضي

بقلم : فاتن صائح

يحيط بكل ذلك التعصب الديني الذي مزج كل شيء به . وكان معظم السلاطين والملوك والخلفاء في زاوية اخرى من حياتهم يقربون اليهم الشعراء والمحدثين والعلماء والكتبة فيشجعون الشعراء ويستوزرون العلماء ويجلبون الكتب والمكتبات ، فانتشرت المكتبات في أنحاء بغداد وكان من بينها (دار العلم) الذي يقوم عليها شاب في مقتبل العمر ينتهي نسبه الى ابي طالب .

انتم ابو الحسن الشريف الرضي بن الحسن بن موسى بن محمد بن موسى بن ابراهيم بن موسى بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي بن زين العابدين ابن الحسين بن علي بن ابي طالب ، كان ابوہ ابواحمد الحسين الموسوي نقيب الطالبين وهو محبوب من الجميع اهتم بتربية ولده اعظم الاهتمام فجليب لسه افضل العلماء والفقهاء لتثقيفه وتهذيبه . بلغ الشريف العقد الاول من العمر فعركته الدنيا وقسا عليه القدر فجعل كل ذلك منه رجلا وهو لا يزال يافعا وخلقت منه شاعرا فاي حادث جليل غير مجرى حياته .

لقد كانت الضربة موجهة الى ابيه فتحمل هو نتائجها وشقي بسببها ذلك ان عضد الدولة لاتبهم النقيب ابا احمد الحسين بالخيانة فسجنه في احد القلاع فذاق الشاعر لأول مرة مرارة العيش والسم الاضطهاد ، فأرغمت شاعريته الغضة وفكت الخطوب المداهمة لسان الشعر فنطق بالشعر الباكي وقال الادب الحزين ، وجعل يرسل القصيدة تلو القصيدة الى ابيه في سجنه ليعزيه ويخفف عنه قسوة السجن ولوعة البعاد ، وخرج الاب المسكين من سجنه كيف البصر فتحنى عن النقابة لابنه الشريف لجدارته بهذا المنصب على صغر سنه اذ لم تزد على التاسعة والعشرين اصبح نقيباً للطالبين ، وامير الحج والناظر في المظالم ، والمستخلف على الحرمين والحجاز ، فزاو هذه الاعمال مدة دون ان يكتفي بها ، بل جعلها وسيلة لبلوغ الخلافة وما يمنعه عنها وهو بهذا النسب الجليل والمكانة الرفيعة ، ها هو ذا يخاطب الخليفة القادر بالله قائلا :

عظما أمير المؤمنين فأننا
في دوحه العلياء لا نتفرق

ما بيننا يوم الفخار تفاوت
ابدا ، كانا في المعالي معرق

الا الخلافة ميزتك فأنني
انا عاطل منها وانت مطوق

نفس عالية واثقة ، تعبر عن حاجة دفينه .. هي

ايها الشريف الرضي .. تتبعك اترك
وبحثت عن لآلك المبعثرة . وغصت في اعماق
معانيك الساحرة المعبرة .. فوجدت عجا
هل يجتمع ذلك كله في شاعر واحد ..
درست الحياة السياسية والاجتماعية
وموقفك من الجميع فالهبتني حماسا وزدني
من شعور النضال قوة ..

فكنت أنيسي وكنت معك كأخلص صديقين
أو حبيبين ارثي لمصيبك ، واستجمع
العبرات لفداحة خطوبك اعطيتني الكثير ..
اعطيتني حسه وشعورا ووعيا متمردا فنظرت
للدنيا بمنظارك وعشت الخطوب كما عشتها
وتذوقت الشعر كما تشعر به فاليك الفضل
بكل ذلك ... وأول الفضل وجله لمن نشر
هذه الكلمات لمن فتح لي البوابة واضاء
أول الطريق .. الى مجلة الثقافة

الخلافة العباسية وعصر الاسلام الذهبي ..

وبالنهاية الخلافة العباسية والشعبوية وتحكم
الموالي في سياسة الدولة ..

بدأ كل ذلك ينمو ويتوسع بسرعة ، فكانت افكار
غريبة ، وتصرفات مريبة ، اثمرت للعرب ألوانا من
الخطوب والنكبات ، فمن هم العباسيون ؟

العباسيون ينتمون الى العباس عم النبي (ﷺ)
اقاموا في العراق . تبوا الخلافة منهم سبعة وثلاثون
خليفة في خمسة قرون وبعض القرن ، حتى ثل ذلك
العرش هولاكو سنة ست وخمسين وستمائة ، وفي
القرن الثالث الهجري تمتد الفتن والخطوب الى
القرن الرابع الهجري ويظهر انحرافا مطية ، ويأتي الروم
لبضيقوا الخناق على العرب حتى اختنقوا بفعل
خلافتهم فبرز الاتراك والديلم ليرسموا كل شيء ،
فضعفت حالة الدولة وكثرت الفتن وانتشرت المجاعات
وارتفعت الاسعار .

الوصول الى السلطة فالشاعر هنا يمدح نفسه قبل الخليفة . . انها نفس شاعرنا تقييب الطالبين الشريف الرضي . وهو يقول ايضا في مدح الطائع :

ليس ابوكم ابي والعرو
ق تخط لحمي بكم والعظاما

نبتنا معا فالتقينا عروقا
بارض العلا واختلطنا رغاما

اذا عمم المجد هاماتكم
كفائي لوئاه به واعتمادا

واذا بحثنا اكثر في نسبه نلاحظ ان نسبه ينتهي الى الحسين بن علي . والحسين هو ابن بنت رسول الله (ﷺ) قتل غدرا في كربلاء في العراق وكان استشهاده ثورة على واقع فاسد فكان من قادتها كثير من شعراء الشيعة ومن اشهرهم الكمي في هاشمياته . . ودعبل ابن علي الخزاعي .

وشاعرنا الشريف الرضي قد تأثر بذلك كثيرا حتى حكم عليه الثعالبي صاحب (يتيمة الدهر) بأنه اشعر الطالبين ممن مضى منهم ومن غير على كثرة شعرائهم المغلقين .

والشريف الرضي ان لم يكن اكبر الشعراء في فن الرثاء فهو من دون شك من اكابر شعرائه ومن السابقين لرفع دعائمه واساسه وهو في مديحه للسلطين والامراء والخلفاء يظهر في شعره وكأنه يستنكر المديح فيهم والضمه به على ابيه وجديه فيقول من قصيدة في ابيه:

وغيرك لا اطريه الا تكلفا
وغير حنيني عنه غيرك مصحب

ابعد النبي والوصي تروقني
مناسب من يعزى المجد وينسب
ولولا جزاء الشعر ممن يريده
وجدت كثيرا من يغني ويطرب

يفتخر بنسبه ، يفخر بأبيه ، يفخر بنفسه فهو تقييب الطالبين يقول :

انا ابن نبي الله وابن وصيته
فخار علا من نده وضرييه
ويقول في الثالثة :

المجد يعلم أن المجد من ازكي
ولو تماديت في غيبي وفي لعبي

اني لمس معشر أن جمعوا لعلي
تفرقوا عن نبي أو وصي نبي

اذا التفتنا الى الاغراض الاخرى في شعره نلاحظ ان لها وجودا بالتأكيد ، ولكن عنصر المأساة واللوعة والحزن على وفاة جده واستشهاده وهو يدافع عن الحق العادل وافتخاره بنفسه كليل لهذه الاسرة الجليلة ومكانته كنقيب للطالبين يطالبون بحقهم على اوسع مدى غطى الاغراض الاخرى .

يقول مثلا في رثاء الحيرة اطلال باليه حيث منازل
الخميين من ملوك العرب .

اين بانوك ايها الحيرة البية
ضياء والموطنون منك الديارا

لم يدع منك حادث الدهر الا
عبرا للعيون واستعبارا

والشريف الرضي في غرض آخر من اغراضه الشعرية يظهر كواحد من الاحرار الحريصين على تراث آباءهم واجدادهم يقول عن بغداد تلك المدينة التي وقعت اسيرة بيد الموالي :

متى ارى الزوراء مرتجة
تمطر بالبيض الظبا أو تراح

صبرت نفسي عند أهوالها
وقلت من هبوتها : لا برّاح

اما فتى نال العلا فاشتفى
او بطل ذاق الردي فاستراح

ونصل الى الحجازيات تلك المجموعة من القصائد الوجدانية يقول :

يا ظبية البان ترعى في خمائله
ليهنك اليوم ان القلب مرعاك

وعد لعينيك ما وفيت به
يا قرب ما كذبت عيني عيناك

انت النعيم لقلبي والعذاب له
فما أمرك في قلبي واحلاك
هامت بك العين لم تتبع سواك هوى
من علم البين ان القلب يهواك

واذا كان لنا ان نقف وقفة اخيرة في هذا البحث
الصغير عن الشريف الرضي فلا يفوتني ابدا ان اذكر
قصيدة تأثرت بها كثيرا وتصورت ما يعاينه الشاعر
حيال هذه المناسبة الفاجعة وهي موت والدته وصدق
من قال عنها ان من يقرأ هذه المراثية في والدته يجد
نفسه غرقى في سيل من الدموع واتون من
العواطف يقول :

قد كنت آمل ان اكون لك الغدى
مما لم فكنت انت فدائي

لو كان مثلك كل ام برة
غنى الزمان بها عن الآباء

رزعان يزدادان طول تجدد
ابد الزمان فناؤها وبقائي
يا قبر امنحه الهوى واود لو
نزفت عليه دموع كل سماء

للؤمت ان لم اسقها بمدامعي
وولت سقياها الى الانواء

لو كان يبلغك الصفيح رسائلي
او كان يسمعك التراب ندائي

لسمعت طول تأوهي وتفجعي
وعلمت حسن رعايتي ووفائي

كان ارتكاضي في حشاك مسببا
ركض الغليل عليك في احشائي

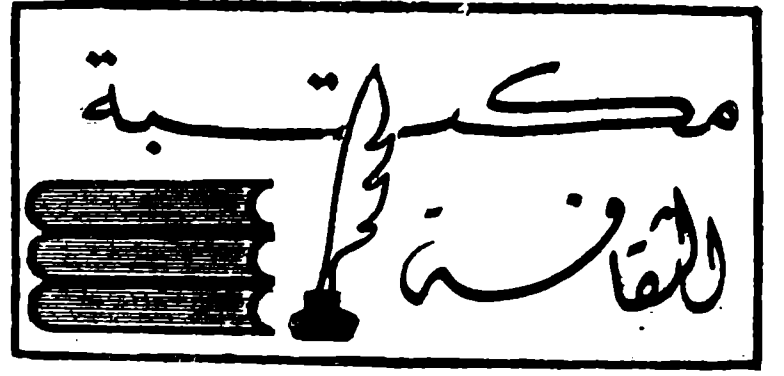
هل يوجد بعد هذا الرثاء .. رثاء ؟

وهل يوجد بعد هذا الشعر شعرا ؟

اعيد الابيات واكررها مرارا وفي كل مرة اشعر
بحزن شاعرنا يتجدد .. امام هذه الابيات اصابني
الذهول فنسيت كل شعر قراته او حفظته واترك
القلم واخضع لشاعرنا العظيم الشريف الرضي .

فاتن صالح : دمشق - كلية الآداب





الشبح

مجموعة شعرية لسعد الدين كليب ب ٩٨
صفحة من القطع الصغير - صدرت في شباط
١٩٨١ - الطبعة الحديثة في حماه - صمم
الغلاف الفنان : نزار قطرميز - وتضم اربع
عشرة قصيدة

نقد وتحليل / عبد الله عساف

● مجموعة « الشبح » للشاعر سعد الدين كليب تشكل تنويجا لأعمال الشعراء في حماه وتعتبر قفزة شعرية جديرة بالقراءة . انها - كما بدا لي - صرخة وتيار وعنف سواء من ناحية الشكل الفني او حتى الموضوعات المطروقة فيها .

فأنت تطالع عن الهموم التي يعاينها الانسان ، تطالعها وانت تترقب بين لحظة وأخرى ما سيعطيك من جديد ، وما سيناقشه بأسلوب متميز يعتمد الاثارة في جل جوانبه .

وقصائد المجموعة من الناحية الفنية تنتسب - ان صح التعبير - الى المدرسة (الرمزية) وقد تتحد احيانا (بالرومانسية) ، فينجبل الانسان بالاشياء والاشياء بالانسان . ويبقى - ابدا - يرافقك ذلك الصوت عبر القصائد .

هذا كتابي فاقرأوه / هذا انا فلتدفنوه

انك تجد صوت الانسان وتجد الارادة والتصميم لاستمرارية الوجود حيا كما الشمس التي تفتسل كل يوم باشعاعها لتظهر بثوب جديد

والسؤال الذي يطرح نفسه على القارئ قبل ان يفتح المجموعة هو : ما الداعي لهذه التسمية ؟ أهو تخيل أم هاجس أم عبث أم جنون ؟ . أم ان هذا الشاب اختارها واستبعد بشعوره المرهف ما سيكون من خلال ما هو كائن . انك تجد الجواب في قوله من قصيدة (الشبح) :

حياتنا يا غصتي مصحة للسبل والجنون
بها المريض والليل والقعيد
« كأنهم أعجاز نخل خاوية » .

نعم هو اكبر من شبح واكثر من مصيبة . ان المبلغ الذي وصل اليه الانسان المعاصر اليوم يهدد بالخطر . ويحتاج الى النظر اكثر فيما يحدث له ، بل : لعل دفقة الوريد

تشب مثل « حلمتي مراقبه » .

اذن : المجموعة تطرح موضوعا اخطر من خطر . انه الوجود واللاوجود للكائن البشري .

ولا بد للمطالع ان يتوقف عند بعض النقاط الهامة في المجموعة وهي ما زالت قيد الدراسة والبحث . ويمكن ان اختار موضوعين بهدف اظهار قدرة المعالجة عند الشاعر وهما المرأة والمجتمع . وما تبقى من موضوعات فسيجدها القارئ في حينها .

المرأة :

ان المرأة في أيامنا أصبحت - كما هو معروف - تشارك الرجل في اغلب مجالاته . فصارت المدرسة والعاملة الى جانب انها الحبيبة .. والزوجة . الى هذا الحد والكل قانع ان المرأة نالت ما تريد . هذا فهمنا اذا تخطينا الصرخات الادبية شعرا او نثرا والتي تصرخ عبر الفضاء قائلة باجماع « نريد للمرأة ان تتحرر » و « نريد للمرأة ان تخرج » .. واخيرا خرجت المرأة . ما النتيجة ؟ . ان السلبية في عدم فهم مصطلح حريتها انعكس على الواقع . بل واصبحت وبالا عليها . هذا ما يكشفه الاستاذ سعد الدين كليب في مجموعته . ان المرأة في المجموعة حزينة . انها تستغيث . وان المرأة التي يريد لها ان تكون هي المرأة التي تفهم التحرر وتعرف من هي اولا واخيرا ، والتي تخرج عن مسار التزوير والتي تنسلخ من المظهر الذي وأدخروها في مهده . يقول في (لاعبة السيرك)

لا ترتبكي سيدتي

ما عدت افكر فيما كنت افكر

ايام جعلتك رابعة العدوية

تختالين بروضة عشقي الصوفيه

ترسمين على حبات الطلع ودمع النور

ان المرأة التي (يتخيلها) هي التي تضرب في العفة

بحرا وفي الحب جدا ولا والعشق رياحيننا . وليست

تلك المرأة التي اتلفها الواقع واهلكها التزوير .

المجتمع :

ان الاستاذ سعد لا ينطلق الا من الواقع ، ولا يطلق احكامه الا من خلاله . فهو - كما بدا لي - قطعة من رفض . انه يرفض ان يقرأ عن المجتمع ثم يأتي ليكتب عنه . فالمجتمع في مجموعته يتراوح بين الحياة

وبين التخدير بين الجفوة وبين الصحو . لكن الصحو نادرا ما تظهر . فالواقع هكذا والمطلوب ان ينهض والشبح القادم من اعماق البحر لن يرحم :

حياتنا يا غصتي مصحة بها الطبيب

في لجة التضميد غارق

وينسى الداء والدواء

ويلعب الطرنيب فوق جثة المصير .

لكن . . على المجتمع ان ينهض لانه لا شيء في ازقة الايام مسحيل . فالبحر قريب والموج الثائر لسن ينتصر على الفلك مهما ارتفع ما دام الربان يتقنون المهارة ويعرفون اتجاه السم . يقول في قصيدة كتابة على اديم الفصل الاصفر :

لا شيء في ازقة الايام مستحيل

قد تبصر النملة ما تريد

في غلة خضراء

في الليلة الظلماء فوق صخرة سوداء

وتجتني النملة ما تشاء .

الاسلوب الفني :

مر الشعر بتجربة صعبة ولا يزال من حيث الشكل والمضمون ، لان الموضوع شيء يفرضه الواقع - برأيي - وتفرضه ظروف الحياة .

اما الشكل فهو ضرب من عدم الاستقرار .

ونسأل الآن ما موقع صاحب الشبح ؟

اذا جاز لي التعبير اقول : هو معاصر في موضوعاته اي واقعي . وهو معاصر في فنه ، اي حين يتحدث عن شيء لا ينسى انه يكتب فنا . فلا يسرف في الواقعية التي تقترب من لغة الحديث او يضرب سهمها في الغموض .

لقد اعطى في مجموعته كل اتجاه حقه . وهو يميل الى الرمز بعامة ، ولا يصرح بما يريد . وقد قال العالم اللغوي المشهور ريتشاردز في كتابه فلسفة البلاغة (لعن الله الفن الذي يقول لنا ما يريد) .

يقول - على سبيل المثال - في قصيدة حلم على مائدة الرعب :

بالامس حلمت بأن السور تهدم

وتلاشى ببرقه فوق الوحل ، وغاص بكلمة « كان »

وتداعى خوف البرق تحطم

بالامس حلمت

بأن الموج الاسود قد شابت رؤياه تعظم

ولا يغفل عن البال ان الموسيقى في النص - بحرا

وايقاعا - كان لهما دور كبير في اغلب الاستخدامات .

فالاستاذ سعد يكتب الموضوع المعاصر ويلتزم ببحر واحد في القصيدة ويختار كلمات مناسبة فيخرج الايقاع معبرا وخادما للغرض المنشود :

الامي موسيقا الوعد وانت

ثلاثة أبيات من شعر

وثلاثة احلام صيغت من وجع الزهر

وثلاثة اشرعة من قهر

وقبل ان اختم قلبي لا بد من ملاحظات حول المجموعة : أولا - ان مقدرة الاستاذ سعد في استعمال الكلمة جعلها تعود الى اهميتها بعد ان امتهنت كثيرا ، وذلك باعتبار الموضوع والايحاء والايقاع .

ثانيا - الدخول والتزواج والاتحاد مع الكلمة .

ثالثا - المأساة الانسانية التي تمر بها تركت اصابعها الدامية على اغلب قصائد المجموعة .

رابعا - رفض الشاعر سعد للواقع جعله يتصور ويرسم مجتمعا بطله الانسان بكل ما في هذه الكلمة من معنى .

خامسا - المجتمع الذي ظهر في المجموعة في اغلبه مريض . وهذا اهم ما يؤخذ على المجموعة . فهي وان صورت الواقع الانساني على حقيقته فانها تبقى قاصرة ما دامت لا تستطيع الالتحام - في بعض الاحيان - مع الخيال الذي يدفع نحو الامام وبتأثير من الواقع .

واخيرا اذا جاز لي القول لتحديد هوية الشاعر سعد الدين كليب من خلال مجموعته الشبح اقول :

انه شاعر يمتاز ببراعة خلاقة . يضم في مخيلته

محصولا فكريا ينبت في مجتمعه ليتخطى العصر نحو رسم مدينة اكثر اصلاحا وتقديرا .

الله ثورة وحل . ثورة في الشكل لانه اعاد للكلمة

اهميتها . وحل لانه فلسف الواقع ووضع اقتراحاته لا كشاعر فحسب بل كفيلسوف تعمق الحقيقة ونشدها

لقد ظهر الاستاذ سعد في مجموعته قوميا وانسانيا

يؤمن بالحب ويقترح اصلاح ، يؤمن بالرباط الاسروي

ويرفض الانحلال ، يؤمن بالثورة ويدعو اليها .

وان شاء لي التخمين فاني اقول ، سيكون لهذا

الشاعر الشباب شأن في المستقبل القريب والله اعلم .

حلب - كلية الآداب : عبد الله عساف

قصائد مضيئة

في ديوان أحمد علي حسن

نقد وتحليل : مصطفى الخش

لمع نجمه الشعري في منتصف الثلاثينات . كان صديقا لوالدي ثم جعلني صديقه . ومنذ ذلك الحين اخذت شجرة صداقتنا تنمو وتكبر باطراد . اذكر اني بحتله بعشقي الاول والوحيد لام العيال - زوجتي - وكانت مخطوبة لغيري - فأسرع السى اهدائي قصيدة نشرت عام ١٩٤٣ قال فيها :

واظلي علي من كوة القصر
ترى مؤمنا بحبك صلي
يعبد النار في مجامر خديك
ولكن سواه فيها سيصلي

وبكياسة منقطعة النظير . خاطبني اديبنا الكبير الشيخ ابراهيم المنذر مداعبا : اي جمال انت فيه ؟ . فاجبته باستحياء : القصيدة تعبير عن واقع الحال . وانما اهديت الي لاكون اثا القائل . فابتسم - رحمه الله - وضحك الحاضرون .

من الندية ان ارد جميل الشعر بالمثل لقد سبق ان تحدثت عن ديوانه ما قبل الاخير « انداء وظلال » ، وليس اشهى على قلبي من ان اكون سباقا في الكتابة عن ديوانه الاخير : « قصائد مضيئة » فلعلي اقوم بقسط ضئيل من واجب نحو اخ عزيز ، اجتاز عتبة الشيخوخة ، واني على اثره من اللاحقين .

لفرط رفته ورهافة حسه اختار الا يثقل على الآخرين ، اذ كتب المقدمة بنفسه ، فكانت اشبه بالمقبلات ، التي تفنيك عما سواها من انواع الطعام . انه اثانا بتعريف جديد للشعر : « هذا الكلام المعطر ، هو رعشة من رعشات النشوة التي يعيشها الشاعر في اعماق اللاوعي ، بتأثير خفي مجهول وبقدر ما يلامس مشاعر الآخرين . ويتهامس معها ، يكون جيدا » .

ولا صفة للجودة - عند احد المتكلمين - : « انهما

هو شيء يقع في النفس عند المميز . كالفرند في السيف والملاح في الوجه » .

وفي الختام . فانه ينحني باللائمة على المتمسكين بالرفض والتغيير الذين يلبسون ان يبقى للشعر اي طبيعة خاصة - اي الوزن والنفحة الشعرية ولهؤلاء يشهر سيفه « ان تمسكنا بالشعر العربي الاصيل معناه التمسك بالمعروبة الاصيلية وآدابها . ولان وطني هو وطن الجمال ، وامتي هي امة العطاء ، فمن وطني وجماله استوحيت والى ابناء امتي اقدم عطائي » . واحب بهذا العطاء . اذا كان القصد خدمة الوطن والمعروبة من القواعد الثابتة ، ان الابداع شرط لازب ، لكل عمل ادبي ، فبقدر ما تكون الفكرة عميقة ونفاذة في ابراز الحقيقة - ضالة كل مؤمن - ضمن اطر من الصور الزاهية الجميلة ، التي تعكس الفكرة ، يكون العمل الادبي جيدا . والا فلا .

وعلى هذا الاساس يمكنني القول : ان قصيدته الاولى : « حبة قمح تتكلم » خالية من الابداع فالفكرة سطحية والصورة باهتة بالاضافة الى مخالفة المعنى للواقع :

ما هان فلاح في حقوله بي يكرم الفلاح والاجر

واين يث الحرارة مما قاله احد الشعراء

« يا لقمة لا نراها بغير جهد وعناء
ممزوجة بدموع مجبولة بدماء »

وشتان ما بينهما ! فالحقيقة محجوبة عنده ، ناصعة عند غيره ، بما لا يقاس بفض النظر عن الفارق الكبير بين صدق المعاناة . . لقد قصر كثيرا وكان حريا به ان يكون سباقا . لانه ابن القرية ومن غير اللائق الا يستشعر شعوره . . ولربما اراد طمس الحقيقة ليكون للعامل والفلاح العزاء ، وهنا الطامة الكبرى ! .

على انه اعتلى سلم الجودة في قصيدته : « حديث الارض » . وان لفي هذا الحديث زخم العاطفة التي تلتظي ، مضافا اليها فصاحة التعبير ومثانة السبك . وما اكثر ما يضع المرء امام عظمة الارض : « منها خلقناكم واليه نعيدكم . . » - قرآن كريم -

ما اضيع الانسان حول ملاعبي
امحو ملامحه هناك واثبت

ثم ان امنّا الارض ، وهي كل العطاء :

وانا العطاء ، ومن كنوزي وحدها
كل الكنوز مجمع ومشتت

وهوى الشاعر في عهد الشيخوخة حديث ذو
شجون . ففي قصيدته « معاد » يسكب ذوب عاطفته ،
لماضي شبابه الاغر وهو ماض معاد دوما . ولكن اين
الثريا من الثرى ؟ وهل يعود الشباب ؟ واي نفع للوجد
والغرام . اني مطلعها حرة :

اعود الى الهوى فيعود وجددي
ولكن لا يعود معي شبابي

وفي منتهاها اغتراب :

تركت له وما غنيت امسي
وعشت لكل ما حمل اغترابي

ولست واجدا لهذا المطلع مثيلا في التفجع سوى
مطلع قصيدة فقيدنا العظيم احمد الصافي الذي عاد ،
قبل اعوام الى بغداد اعمى البصر ، بعد غربة دامت
اربعين سنة فانشد يقول :

« يا عودة للدار ما اقساها
اسمع بغداد ولا اراها »

اما عن « مناجاة بدر » فلا ادري - وان كنت قد
درت - لماذا جعل القمر سرا لا يصل اليه الطرف ،
على الرغم من انه لم يعد سرا ، وقد وضع العلماء عصا
الترحال على سطحه ، وجلبوا لنا عينيات من ترابه
وصخوره ثم انه تحت تناول البصر :

انت يا ساطع سر مبهم الحالة مغلق
لم يصلك الطرف مهما امعن الطرف وحقق

والجدير بالذكر انه لم يعترف بحادث اكتشافه
تفاديا من الوقوع في « ورطة » لا يحمد عقباها ،
بالنسبة له .

ولي أن اعاتبه على مقولته :

هات حدثنا عن الحب وعن لوعة احمق

فهل المحب احمق ؟ وماذا لبقي للمحبين والشعراء
الغزل وهو واحد منهم - من شمائل ؟ اشهد ويشهد
معي الشاعر ان الحب زينة الحياة الدنيا . وبئست
ضرورة القافية اذا كانت تعاكس المعنى ! وليس ادل
على هذه الضرورة من استطراده

عن جنون الحسن لا ابهى من الحسن وآثق

فلا ابهى من الحب ولا آثق من الحسن والجمال !
واذن فهل يجوز ان ينعت المحب بالحمق - وهو
نقيضه - ؟ .

ولقد ابدع في هذه الصورة :

ضوءك الضوء الذي اغفى على الحب وارق

فالاغفاء والاراق ضدان . ولما استجمع الضدان
اظهر الواحد حسن الآخر ، حسب رأي احد الشعراء :

ضدان لما استجمعا حسنا والضديظهر حسنه الضد

في الجمع بين النقيضين كمال الصورة ! ومع
الشعاع الفضي يتألق المحب طربا في حضرة الحبيب ،
ولكنه - مع الغياب تثور ثائراته ويهيج بلباله وتضطرب
جوانحه ، فيأرق اشد الارق . وهيهات ان يفلق
عينيه ، وانما يظل ساهرا متجلبا بجلباب السعادة ،
كمن يغفو في حلم هنيء .

وبالقياس ، فانه يبدو اكثر تحمسا للشمس
(ص ١٣٢) وقد اضفى عليها صفات الحي القيوم الذي
يحيي ويميت والذي لا يفنى ولا يموت ، والسرمد
الذي لا اول له ولا آخر . مصداق ذلك ما يخاطب به
نور الشمس وكأنه امام مذهب :

انت المدى الازلي مالك آخر
والدائم الابدي مالك اول

تتحول الاشياء عن حالاتها
وكيانك الازلي لا يتحول

يمضي ويقبل كل يوم معشر
وتظل تمضي حيث انت وتقبل

● مكتبة الثقافة ●

وللطيش في شعره نصيب ، حيث يغدو فيه المرء
اضحوة للناظرين . وتزدريه الاعين ، لتخشه ازاء أي
فاتنة لعوب :

ويغدو لعبة خنس غوى تثير هواه فاتنة لعوب

لكن الطيش . مع القهقهات وعدم الاكتراث ، لن
يجدي صاحبه فتىلا امام الكوارث والعقبات :

تقهقه غير مكترث وماذا اذا مانابك الحدث الرهيب

.. ولا يتسع المجال لذكر جملة المواضيع العامة
التي ادلى بدلوها فيها ، فهذه المواضيع مطروقة ، وقد
سبقه اليها الاولون . وهي احوج ما تكون الى المزيد
من توفر الابداع ، اي الانيان بجديد ، في قالب مستساغ
يطابق الصدق الفني في بث الحرارة . ودفعاً للالتباس
فمعاذ الله ان انتقص من قدر الابداع فيها .

يقول سميح قاسم : « ان العمل الشعري يتحمل
مسؤولية ما وهي تحريك المتلقي عاطفياً وذهنياً ،
وادخاله الى وضع ذهني ساطع . ولا شك بان العمل
الشعري في هذا المعنى يحمل قيمة كبيرة كمحرك وكعنصر
ايجابي خلاق في مسيرة الشعوب .

وحسب الشاعر احمد علي حسن انه اعطانا كل
ما عنده .. وفي ذلك غاية الجود والكرم . ولنعم
ما فعل !!.

مصيف - مصطفى الخش

واي سر في اغفاله للخسوف والكسوف ؟!

ويعنيني هنا ان اذكر بانه نقل الينا صورة النافذة
الذبياتي

فانك شمس والملوك كواكب اذا طلعت لم يبدمنهن كوكب

بصورة ازهى واجمل :

ملا الدجى وجه النجوم وعندما

أطلت من خدر الشروق تسترا

وفي قصيدة « انا والوطن » اختلطت عليم الشاعر
واتشابهت الصور . وامتزجت الالوان . فلم يعد بقادر
ان يحصيها عددا :

ويزود الانسان من شرف الحياة ومن ومن

ولانه لم يفترب عن وطنه : فقد اغفل سر الحنين
اليه . لكنه برع في الخلاص من الموضوع . فازجى
الوطن خالص حبه وتقديره - على طريقة من
يتكلمون في بطونهم - :

وسالته من انت يا حبي فقال : انا الوطن

وبين العقل والقلب رحي الحرب دائرة . وهكذا
فان شاعرنا في قصيدته « عقلي وقلبي » - قد وفق الى
ابرار ميزات كل منهما . ولا سبيل الا اليهما معا :

العقل برد ودفء ومطلب مستطاع
والقلب وهج وحمى وثورة واندلاع



وقد منحت هذه الجائزة للسيد الاحمد لاعماله الادبية ولرصيدته في نشر الادب البلغاري في اوساط الشعب العربي .

واعرب السيد الاحمد عن سعادته الكبيرة لنيل هذه الجائزة وقال انها دليل الاحترام ليس لي فقط بل الى سورية والعرب جميعا .

الجدير بالذكر ان معظم الادب البلغاري الذي ترجم الى العربية ونشر بكتب في سورية انما تولته ادارة هذه المجلة ومن بينها بعض الكتب التي ترجمها الشاعر الاحمد .

● اسبوع ثقافي سوري في تونس ●

افتتح بالعاصمة التونسية الاسبوع الثقافي العربي السوري .

وقام السيدان البشير بن سلامة وزير الثقافة التونسي واديب اللجمي معاون وزيرة الثقافة في القطر العربي السوري بافتتاح هذا الاسبوع . وتضمن هذا الاسبوع افتتاح معرض الكتاب العربي والفنون التشكيلية كما قدمت فرقة امية للفنون المسرحية عروضها خلال الاسبوع .

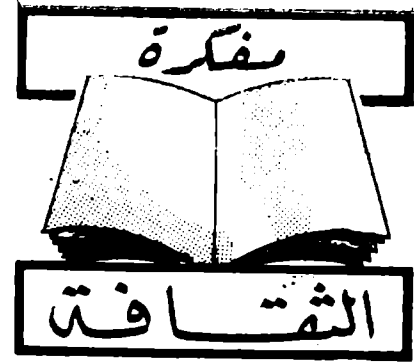
● الشاعر الكبير سليمان العيسى ●

وكتاب دفتر النشر

* صدر عن اتحاد الكتاب العرب مؤخرا كتاب / دفتر النشر / للشاعر المعروف سليمان العيسى يجمع فيه الخاطرة والفكرة والحوار والقصة مما كتبه ونشره في الصحف والمجلات .

يبدأ الشاعر كتابه بالحديث عن تجربته الشعرية مع الاطفال التي بدأت في اعقاب - نكسة حزيران - وامنيته في اقامة منشآت ومؤسسات ثقافية للاطفال وفرق كورال تسهم في انتشار الشعر العربي بين الجمهور .

ويورد المؤلف قصصا واحاديث من رحلة العمر مع الطفولة وكبار الشعراء العرب والاجانب والقديم والحديث والابداع العربي والعالمي ومن قراءاته ومشاهداته ومشاركته في الاحداث والمناسبات الوطنية والقومية .



تأبين

المرحوم الاديب اسماعيل عدده

● في مدينة / سلمية ويوم الجمعة ١٩ حزيران ١٩٨١ الساعة الرابعة بعد الظهر - وفي قاعة المجلس الاعلى - اقيم الحفل التأبيني للمرحوم الشاعر الاديب اسماعيل عدده - مدرس الادب العربي في ثانويات المدينة . وقد تضمن البرنامج الآتي :

- كلمة المجلس الاعلى
- كلمة اتحاد الكتاب العرب القاها الشاعر الاستاذ سعيد قندججي .
- كلمة نقابة المعلمين
- قصيدة الشاعر محمد منذر لطفي
- كلمة مجلة الثقافة القاها ارتجالا صاحب المجلة ورئيس تحريرها المسؤول الاستاذ الشاعر / مدحة عكاش /

● قصيدة صديق الطفولة والشباب للشاعر اسماعيل عامود

● كلمة طلاب الفقيدا القاها بالنيابة الاديب ادب ديوب .

- كلمة الطالبات القاها الآنسة / هيفاء اسد
- قصيدة الشاعر الكبير الاستاذ انور الجندي .
- كلمة الدكتور الاديب الشاعر عارف تامر .
- كلمة آل الفقيدا القاها نجل المرحوم هشام عدده عريف الحفل الكبير هذا كان الاستاذ الباحثة محمود أمين .

● هذا وستقوم دار مجلة الثقافة باصدار ملف خاص عن الحفل مع نبذة عن حياة الفقيدا ونشاطه الشعري والادبي وذلك ضمن اعدادها الشهرية القادمة .



● جائزة دولية للشاعر احمد سليمان الاحمد ●

منحت جائزة / خريستوف بوتيف / الدولية في موفيا الى الشاعر والاديب والمترجم السوري الدكتور احمد سليمان الاحمد .

● كتب جديدة في المكتبة العربية ●

* من المعروف في المكتبة العربية ان الكتب الجادة الرصينة لا تطبع اكثر من مرتين . الخبر الجديد انه صدر مؤخرا عن دار دمشق للطباعة والنشر الطبعة الخامسة من كتاب : مشروع رؤية جديدة للفكر العربي في العصر الوسيط للدكتور طيب تيزيني . يقع الكتاب في حدود ١٤٠ صفحة من الحجم المتوسط . يأمل المؤلف من كتابه - في طبعته الجديدة - خلق مزيد من الحوار الفلسفي التاريخي العربي ضمن افقنا هض وابعاد اكثر رحابة .

* كما صدر عن نفس دار النشر المذكورة رواية جديدة للكاتبة الصينية « لي جو تنغ » اسمها « ميليشياء نساء الجزيرة » وقد ترجمها للعربية السيد حنا عبود تقدم هذه القصة لوحتين : الاولى للحياة في مجتمع اقطاعي يقوم نظامه على الاستغلال واللوحة الثانية التي اعقبت المجتمع القديم .

* صدر عن دار الحقائق في بيروت كتاب « افريقيا والعرب » للدكتور امين اسبر احد الاخصائيين بالقضايا الافريقية . يقع الكتاب في ٢٠٥ صفحات من الحجم المتوسط وهو يعتبر اول مرجع وثائقي في موضوعه .

* * *

● امير العسايفر ●

قصص موجهة للاطفال لوليد زهدي

● امير العسايفر هو عنوان المجموعة القصصية الموجهة للاطفال ، والتي ستصدر قريبا للاديب وليد زهدي ، وتضم قصص كتبت بأسلوب رشيق وبقالب تربوي محبب .

* * *

● زهير غزاوي و / القرار ●

● للقصص الاديب الاستاذ زهير غزاوي مجموعة قصصية - متقدمة - بعنوان (القرار) وهي مجموعته الاولى . وقد صدرت حديثا عن دار ابن راشد تضم عشر قصص قصيرة .

* * *

● الحياة تبدأ غدا ●

تأليف / حسين ورور

دراما تلفزيونية من تأليف الكاتب حسين ورور أعد لها السيناريو الاديب عبد العزيز هلال ويسجلها التلفزيون العربي السوري . المخرج محمد الشليان .

● مختارات من القصص العربية ●

تترجم الى الانكليزية

* اختار الكاتب العراقي « شجاع العاني » مجموعة من القصص العربية لترجمتها الى اللغة الانكليزية وضمت ثلاث قصص من العراق وهي : « الارنب » و « الغراب » لفؤاد تكرلي « المملكة السوداء » لمحمد خضر . بالإضافة الى قصص لذكريا تامر وعادل ابو شنب وعبد السلام العجيلي من سورية . ويوسف الشاروني ويحيى الطاهر عبدالله وابراهيم اصلان من مصر ، ومحمد زفزاف من المغرب ، واميل حبيبي وسميرة عزام من فلسطين ، والطبيب صالح من السودان .

● ● ●

● احصائيات ثقافية ●

في حلب

* بلغ عدد المطالعين الذين اموا دار الكتب الوطنية خلال شهري نيسان وايار الماضيين ثمانية آلاف مواطن .

وذكر مصدر مسؤول في المركز الثقافي العربي ان عدد الكتب المعارة الى خارج المركز خلال نفس الفترة بلغ مائتين وخمسين كتابا في حين بلغ عدد المطالعين الذين اموا مكتبة المركز الثقافي العربي احد عشر ألف مواطن بينما بلغ عدد رواد قاعة المطالعة للاطفال في المركز مائتي طفل .

واضاف المصدر ان الوحدات الثقافية المتنقلة التابعة للمركز قامت خلال الشهرين الماضيين بزيارة حوالي ٧٠٠ قرية في ريف المحافظة اعادت خلالها اكثر من ستة آلاف كتاب .

* * *

● مهرجان عالمي للشعر في المكسيك ●

يعقد في المكسيك مهرجان عالمي للشعر . ويشارك في المهرجان : رافائيل البرتي - نيقولاس غويين - ارنستو كاردينال - ستيسلاف ميلوزي (الحائز مؤخرا على جائزة نوبل للاداب) وغيرهم .

يلقي كل شاعر قصيدته باللغة الام فتترجم فورا الى الاسبانية وستقوم اللجنة المنمة للمهرجان بطباعة وتوزيع القصائد ضمن كتيبات وعلى اسطوانات بحيث توزع عالميا .

تجميل الساحة الواقعة امام ضريحه .

وقد انتهت ايضا مسابقة صنع افضل تمثال للعالم العظيم وسيوضع في أكبر ساحات مدينة بخارى .

● القواعد والفوائد ●

* عن جمعية منتدى الشعر صدر - حديثا - في النجف الاشرف كتاب « القواعد والفوائد » للامام ابي عبد الله العاملي المعروف بالشهيد الاول .
الكتاب من تحقيق وتقديم وشرح الدكتور السيد عبد الهادي الحكيم ، ويقع في قسمين كبيرين عدد صفحاتهما نحو من ثمانمائة صفحة - من القطع الكبير .

* * *

● همع الهوامع في شرح جمع الجوامع ●

* عن دار البحوث العلمية - صدر في الكويت مؤخرا - كتاب (همع الهوامع في شرح جمع الجوامع) للامام جلال الدين السيوطي المتوفى سنة ٩١١ هـ كاملا في سبعة اجزاء محققة مشروحة بعناية الدكتور عبد الحال سالم مكرم استاذ الدراسات النحوية بكلية الآداب بجامعة الكويت وتعزيد جامعة الكويت .

* * *

● تطور الاستشراق في دراسة التراث العربي ●

* ضمن سلسلة (الموسوعة الصغيرة) اصدرت وزارة الثقافة والاعلام العراقية ، ودار الجاحظ للطباعة والتوزيع ، في بغداد مؤخرا كتابا جديدا ، للاستاذ عبد الجبار ناجي يتناول - بالتاريخ والدراسة والتحليل موضوع (تطور الاستشراق في دراسة التراث العربي) .

● زاد المعاد في هدى خير العباد ●

* عن مكتبة المنار الاسلامية ومؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع - صدر في بيروت مؤخرا الجزء الخامس من كتاب « زاد المعاد في هدى خير العباد » لابن قيم الجوزية ، شمس الدين ابي عبد الله محمد بن ابي بكر الزرعي الدمشقي « المتوفى سنة ٧٥١ هـ » .

حقق نصوص هذا الجزء وخرج احاديثه وعلق عليها - الاستاذان شعيب الارناؤوط ، وعبد القادر الارناؤوط .

التراث

● المعري ذلك المجهول ●

* صدر في بيروت مؤخرا عن الدار الاهلية للطباعة والنشر والتوزيع كتاب (المعري ذلك المجهول : رحلة في فكره وعالمه النفسي) للدكتور عبد الله الطعلايلي ، في طبعة جديدة منقحة تقع في نحو مائتي صفحة - من القطع المتوسط .

سبق لدار مجلة الاديب البيروتية ان اصدرت هذا المؤلف في اواكل الاربعينات .

* * *

● ٢٨ ألف صورة عن بلاد الشام ●

* في المتحف السامي التابع لجامعة هارفرد الامريكية تم العثور مصادفة على ٢٨ ألف صورة فوتوغرافية لمختلف نواحي الحياة في بلاد الشام قبل قرن من الزمن .

وتكمن اهمية هذه الصور في انها تعتبر اكبر واقدم ما عثر عليه حتى الآن من صور تتعلق بتاريخ المنطقة .

* * *

● تمثال لابن سينا في بخارى ●

* تستعد مدينة بخارى بجمهورية اوزبكستان السوفيتية للذكرى الالفية لميلاد ابن سينا ، ففي مدينة تاشقند العاصمة الاوزبكستية جرى طبع المجلد الاول من الكتاب الثالث ووضع تحت الطبع المجلد الثاني من الكتاب الثالث وكذلك الكتابين الرابع والخامس من مؤلفات ابن سينا وهو المعروف بـ « القاتون في الطب » او ما عرفه العرب احيانا باسم « شفاء النفس » وفي مدينة افشنة ، مسقط رأس العالم الكبير اقيمت مزرعة تعاونية تحمل اسم - ابو علي بن سينا - وافتتح في بخارى ذاتها متحف تضمن صور المواد والوثائق والنماذج المصغرة المكرسة له في المتحف المحلي . ويجري

المحتوى

رئيس التحرير

١ - التواصل الثقافي

الدراسات :

مازن الوعر
نعمان حرب
زكي قنصل
فاتن صالح

٢ - دراسة نموذج ادبي / دراسة جمالية
١٣ - قبسات من الادب المهجري / حنا جاسر
١٧ - ديوان « يا ليل »
٥٣ - الشريف الرضي

الموضوعات :

عبد العزيز الربيع
سمر روعي الفيصل

٢٣ - المقامات في الادب العربي
٣٠ - حركة النشر في نادي الرياض الادبي

الشعر :

ممدوح السكاف
شفيق عبد الخالق
احمد علي حسن
وفاء علي
انور الجندي
حامد حسن
د. ابو الهدي فؤاد الاسعد

٤٠ - الدار
٤٢ - قيثارة الجمال
٤٤ - جنابة الاحباب
٤٦ - أنت افراحي
٤٧ - سعيد الجزائري / الصديق الراحل
٤٩ - كيف أنسى / أمي روح اديب الطيار
٥١ - شعل الحارث

مكتبة الثقافة :

عبد الله عساف
مصطفى الخش

٥٦ - الشبح - مجموعة شعرية لسعد الدين كليب
٥٨ - قصائد مضيئة / ديوان احمد علي حسن
٦١ - مفكرة الثقافة
٦٣ - التراث